الطاعة

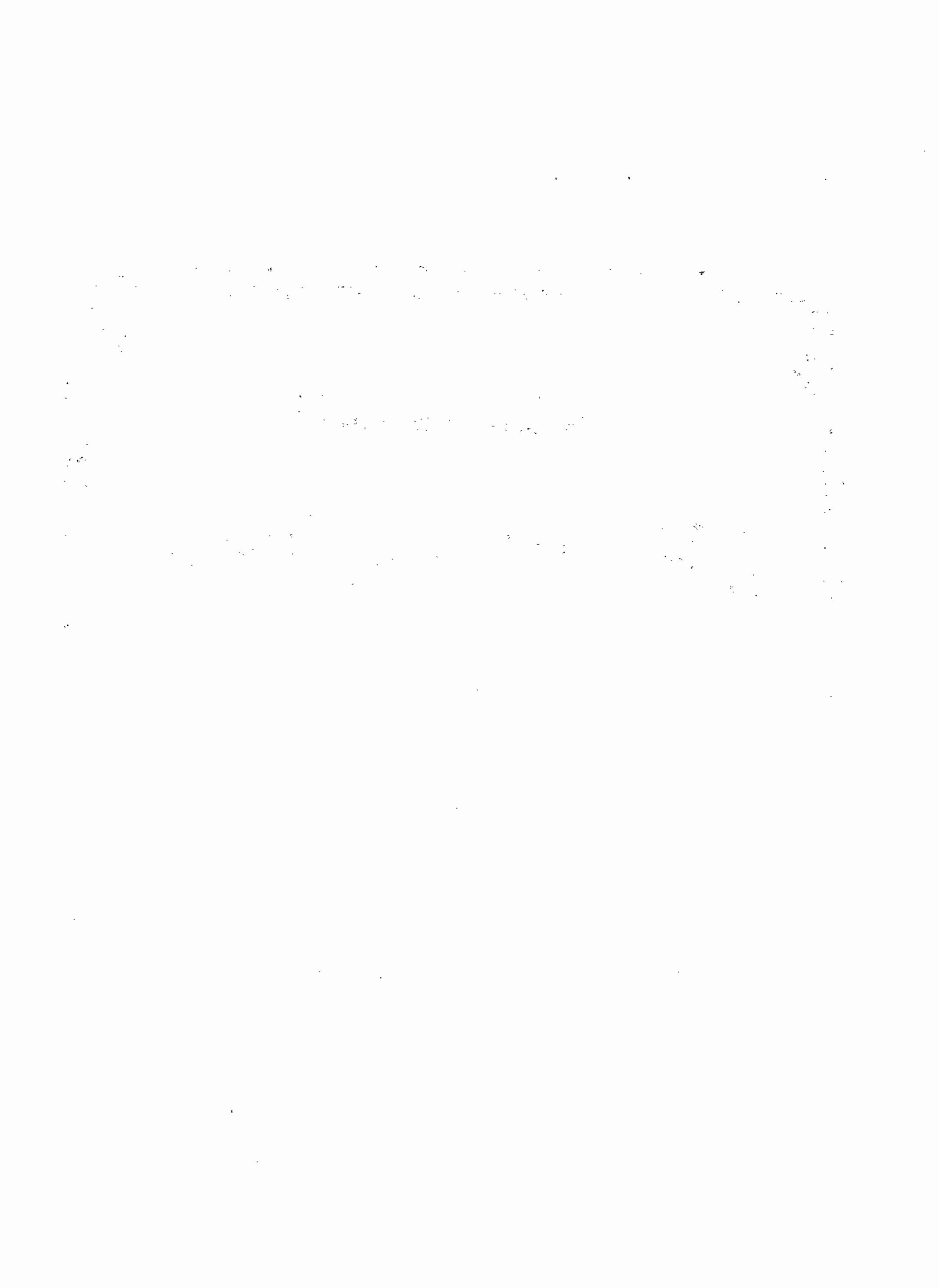
وأثرها فى ضوء القرآن الكريم

تأليف

شعبان رمضان محمود مقلد

الأستاذ المساعد بكلية التربية

الجوف - المملكة العربية السعودية



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف: ١ -٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

فمما لا شك فيه أن علم التفسير من أعظم العلوم قدراً وأرفعها شرفا، وأولاها بالاهتمام، فهو أولى ما يتنافس فيه المتنافسون، وأحرى ما يتسابق فى حلبة سباقه المتسابقون، وإنه لجدير بكل باحث ودارس فى حقل التفسير أن يربط موضوعات بحثه بواقع أمته، ويتلمس واقع الأمة الإسلامية ويرتقى به، فإن وجد إصلاحا شيده، وشد من أزر أهله والقائمين عليه، وإن وجد اعوجاجا وضع لبنة في تقويمه، ونبه وأرشد إلى الداء الذى يستشرى فى الأمة ووصف الدواء ورغب فيه بشدة.

ولقد أفزعنى ما آلت إليه أمر كثير من المجتمعات الإسلامية اليوم من تمرد وعصيان على أهل الحق وأصحاب الفضل، باختلاف الدعاوى

والدواعى التى أوصلت كثيراً من أفراد أمتنا لهذه الحال فاستشرى التمرد ـ بشتى الحجج والألوان والمسوغات ـ على منهج الله وأوامره، وعلى سنة رسولهم الكريم ﷺ وانتشر التمرد على الاعتراف بفضل أهل الفضل، الذين جعل الله لهم أفضالاً من أولى الأمر والعماء والآباء والأزواج، ونتج هذا التمرد من الأفكار والثقافات الدخلية على مجتمعاتنا الإسلامية، كذلك مما تنتجه وسائل الإعلام بألوانها المختلفة باسم الحرية وإبداء الرأى وغير ذلك.

فتمرد البعض على كثير من أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ، وتمرد البعض على أولى الأمر والعلماء، وفشا التمرد على الوالدين وعلى الأزواج من الأبناء والزوجات.

ومن هنا دار بخلدى أن أتلمس موضوع الطاعة فى ضوء كتابة الله ـ عز وجل ـ منهج هذه الأمة، الذى هو الفصل ليس بالهزل وأتلمس أثر هذه الطاعة ـ إن التزم بها ـ على الأفراد والأمة، فكان هذا البحث بعنوان: **(الطاعة وأثرها فى ضوء القرآن والكريم)**.

وقد اقتضت طريقة تنظيمه أن يكون فى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة وذلك لاتصال حلقاته، وترابط أفكاره وتسلسلها.

فالمقدمة: التى نحن بصددها تبين ما دفعنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع وطريقة تنظيمه.

والتمهيد: عرفت فيه بالطاعة، وبينت ورود مادتها فى القرآن الكريم، واشتقاقات هذه المادة.

أما البحث الأول: فتحدثت فيه عن طاعة الله ورسوله، واندرج تحته الحديث عن أمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله، وأمر عامة الناس بطاعة الله ورسوله، والصبر على هذه الطاعة.

والبحث الثانى: الطاعة المشروعة للعباد. وتحدثت فيه عن طاعة أولى الأمر، وعن طاعة الأبناء للوالدين وعن طاعة الزوجات لأزواجهن، ثم أخيراً عن طاعة القائد فى ساحة الجهاد.

والمبحث الثالث: الطاعة غير المشروعة. وتناول الحديث الألوان التى وردت عليها الطاعة غير المشروعة فى القرآن الكريم وهى: طاعة الكفار والمشركين والمنافقين، وطاعة العصاة والمسرفين، وطاعة النفس والهوى والشيطان.

أما المبحث الرابع والأخير: أثر الطاعة على الأفراد والأمة. وتحدثت فيه عن: أثر الطاعة فى تقويم الأفراد، ثم الطاعة فى تقويم الأمة.

على أن لهذه المباحث وفروعها فروع أخرى تندرج تحتها تتضح من خلال تناولنا لها - إن شاء الله - فالله وحده هو المسئول أن يرزقنى الإخلاص فى القول والعمل، إنه أعظم مسئول وأكرم مجيب.

شعبان رمضان محمود

الجوف. دومة الجندل

المملكة العربية السعودية

●●●

التمهيد

تعريف الطاعة:

أولاً: الطاعة في اللغة: الطاء والواو والعين، أصل صحيح يدل على الاصطحاب والانقياد، يقال طاعة يطاوعه، إذا انقاد معه ومضى لأمره، وأطاعه بمعنى طاع له، ويقال لمن وافق غيره قد طاوعه[1].

والطوع: نقيض الكره، ورجل طائع: مطيع، **والطاعة**: اسم من أطاعه طاعة، وطاع يطاع أطاع لان وانقاد وطاع له يطوع إذا انقاد له.. **وجاء فلان طائعا**: غير مكره والجمع طوع.. **والمطاوعة**: الموافقة والانقياد[2].

وبنحو ما سبق سار الراغب الأصفهاني رحمه الله وأضاف:

الطوع: الانقياد، والطاعة مثله، لكن أكثر ما تقال في الائتمار لما أمر والارتسام فيما رسم[3].

الطاعة: موافقة الأمر ـ وعند المعتزلة: موافقة الإرادة وعرفت أيضًا بأنها: كل ما فيه رضى وتقرب إلى الله. والطاعة: موافقة الأمر طوعا[4].

ثانيًا: الطاعة في اصطلاح العلماء: لم أجد في أقوال العلماء المسلمين ما يمكن أن نسميه تعريفا للطاعة بالمعنى الاصطلاحي، ولعل السبب في ذلك وضوح معنى الطاعة في الأذهان، وكل الذين تناولوا موضوع الطاعة أثناء دراستهم لنظام الحكم في الإسلام لم يبتعدوا

كثيراً عن معناه اللغوى، اللهم إلا ما ذكره الإمام الشيخ محمد عبده فى معرض تفسيره لاية من آيات الطاعة حيث يقول: طاعة الله تعالى هى: اتباع شرعه من الدين على لسان رسوله ﷺ وطاعة الرسول ﷺ هى اتباع ما جاء به من الدين عن ربه ـ عز وجل[٥].

ولقد وجدت أن هناك ارتباطًا كبيرا بين مفهوم البيعة، ومفهوم الطاعة، إذ أن الطاعة مترتبة على البيعة، وهى من لوازمها.

يقول ابن خلدون: «والبيعة هي العهد على الطاعة، لأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر فى نفسه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره[٦].

والطاعة كذلك من مقتضيات العمل الجماعى، إذ لا يمكن أن نتصور أن يستقيم شأن لا نظام فيه، ولا يعقل أن نتصور دولة لا طاعة فيها والطاعة فى الإسلام طاعة واعية كما يقول الدكتور عبد العزيز الخياط: «وهى طاعة واجبة فيما لا معصية فيه، فمن الطاعة أن يسمع المواطن للدولة، وأن يستجيب لها، وأن ينفذ ما تطلبه منه فى حدود طاقته وقدرته، فى حالة منشطه وهمته، وكسله وتراخيه، وفى حالتى اليسر والعسر، أو الرخاء والشدة، إذا لا يتصور وجود دولة لا طاعة فيها من المواطنين»[٧].

مادة الطاعة فى القرآن الكريم:

ورد لفظ الطاعة ومشتقاته فى القرآن الكريم ٨٣ مرة تقريبا يستأثر فعل الأمر المقرن بواو الجماعة بأكبر عدد من مرات التكرار، حيث ورد

لفظ **«أطيعوا»** ١٩ مرة فى مثل قول الله عز وجل: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٣٢].

ويليه نفس الفعل لكن مقترنا بياء الملكية، فقد ورد لفظ **«أطيعون»** ١١ مرة فى مثل قول الله عز وجل: ﴿**وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾ [آل عمران: ٥٠].

ويتساوى فى العدد الماضى المقترن بناء الفاعلين مع الفعل المضارع المجرد المبدوء بالتاد، فالأول لفظ **«أطعنا»** فى مثل الله تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ٢٨٥].

والثانى لفظ «**تطع**» فى مثل قول الله تعالى: ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام: ١١٦] حيث تساوت اللفظتان فى عدد مرات الذكر فى القرآن فوردت كل نهما ثمان مرات.

أما الفعل المضارع المجرد المبدوء بياء المضارعة «**يطع**» فقد ورد ست مرات فى مثل قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [النساء: ١٣].

ويليه الفعل المضارع المبدوء بالتاء المقترن بواو الجماعة «تطيعوا» فورد خمس مرات فى مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

وكان نصيب المصدر «طوعا» من مرات الذكر أربع مرات فى مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٥٣].

أما الاسم نفسه «طاعة» فقد ورد ثلاث مرات فى مثل قول الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١].

وتساوى الفعل المضارع المبدوء بالتاء المقترن بضمير الغائبين «تطعهما» مع المضارع المبنى للمجهول «يطاع» فقد ذكر كل منهما مرتين الأول فى مثل قول الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨].

والثانى فى مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤].

وكذلك تساوت المشتقات الآتية فى الذكر مرة واحدة ـ الفعل الماضى المجرد «**أطاع**» فى قول الله تعالى: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾ [النساء: ٨٠].

الفعل الماضى المقترن بواو الجماعة مع النون الملكية «**أطاعونا**» فى قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٦٨].

ـ الماضى المتصل بهاء الغائب «**أطاعوه**» فى قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾ [الزخرف: ٥٤].

ـ المتصل بتاء الخطاب وميم الجمع «**أطعتم**» فى قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ**﴾ [المؤمنون: ٣٤].

ـ الماضى المتصل بتاء الخطاب وميم الجمع، مع ضمير جماعة الغائبين «**أطعتموهم**» فى قوله تعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام: ١٢١].

ـ الفعل «**أطعنكم**» فى قوله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾ [النساء: ٣٤].

- الفعل المضارع المقترن بهاء المفعول الغائب والمسبوق بلا الناهية «لا تطعه» في قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [العلق: ١٩].

- المضارع المتصل بواو الجماعة وهاء المفعول الغائب «تطيعوه» في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤].

- المضارع المبدوء بالنون الدالة على الجمع والمسبوق بلا النافية «ولا نطيع» في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الحشر: ١١].

- المضارع المبدوء بالنون الدالة على الجمع مع زيادة ضمير الجمع للمخاطبين الدال على المفعول يقدمه حرف التنفيس «سنطيعكم» في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٦].

- المضارع الشبيه به لكن بياء الإفراد «يطيعكم» في قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧].

ـ المضارع المبدوء بالياء المقرن بعلامة جمع الذكور «يطيعون» في قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ـ فعل الأمر المتصل بنون النسوة «أطعن» في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ـ جمع المذكر السالم الواقع موقع الحال «طائعين» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

ـ وأخيراً في اسم المفعول «مطاع» في قوله تعالى: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١].

فيكون مجموع ورود الألفاظ المشتقة من لفظ الطاعة في القرآن الكريم ثلاثا وثمانين مرة.

وهكذا فقد جاء الحديث عن الطاعة في معظم سور القرآن الكريم، وإذا استثنينا قصار السور فلا تكاد تخلو سورة من كتاب الله عز وجل إلا وفيها ذكر للطاعة، بل أن بعض السور قد ورد فيها ذكر الطاعة أكثر من عشر مرات كما هو الحال في سورتي النساء والشعراء.

ولا غرابة فى ذلك، فإن الحديث عن الطاعة هو الحديث عن الإسلام، فما الإسلام إلا الاستسلام لأوامر الله - عز وجل -.

ومما يثير الدهشة من إعجاز القرآن الكريم أن هذا اللفظ **«الطاعة»** بمشتقاته تساوى فى عدد مرات الذكر فى القرآن مع لفظ المحبة بكافة مشتقاته أيضًا، حيث ورد لفظ المحبة بمشتقاته ثلاثا وثمانين مرة أيضًا، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر المحبة ومشتقاتها بالطاعة ومشتقاتها[٨].

ولا مانع من أن نلمح من هذا التساوى بين المادتين إشارة لطيفة؛ ألا وهى أن الطاعة لابد وأن تكون ناتجة عن حب لله تعالى، بما أولانا من نعم لأنه هو المطاع الأول، وكل طاعة بعد ذلك لطاعته تبع، كذلك تكون الطاعة الواردة فى القران الكريم للرسول ولأولى الأمر ولأهل الفضل، أولى بها أن تكون ناشئة عن حب الله - عز وجل - ويجب أن تقترن هذه المحبة بالطاعة؛ حتى يكون صادقا فى دعواه ولله در القائل:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه

هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

وقال الآخر

ما الحب إلا طاعة وتجاوب

وإن أكثروا أوصافه والمعانيا

●●●

المبحث الأول

طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله ﷺ

ورد الأمر بطاعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وطاعة رسوله ﷺ فى القرآن فى مواضع كثيرة منها، مواضع ورد الأمر فيها باللفظ الصريح، ومنها مواضع ورد فيها بالمعنى، ونظرا لكثرة المواضع الواردة بالمعنى وتنوعها؛ آثرنا أن نقتصر فى تناولنا للنماذج التى سوف نتناولها ـ إن شاء الله ـ بالتفسير والتحليل على الآيات التى وردت فيها الطاعة بذات اللفظ أو أحد اشتقاقاته.

والذى يدقق النظر فى آيات الأمر بالطاعة فى القرآن الكريم ـ باللفظ ومشتقاته ـ يجدها ترد فيما يقرب من خمسة وأربعين موضعا.

والناظر فى هذه المواضع يدرك أنها تمثل اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول: يتحدث عن أمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله.

والاتجاه الثانى: يتحدث عن أمر عامة الناس بطاعة الله ورسوله.

أما الاتجاه الثالث: فيتحدث عن الصبر على طاعة الله ورسوله.

الاتجاه الأول: أمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله:

كان المخاطبون بهذا القرآن أول مرة يعرفون قيمة نعمة الله عليهم بهذا الدين. إذ كانوا يجدون حقيقتها فى كيانهم، وفى حياتهم، وفى مجتمعهم، وفى مكانهم من البشرية كلها من حولهم. ومن ثم كانت

الإشارة ـ مجرد إشارة ـ إلى هذه النعمة تكفى، إذ كانت توجه القلب والنظر إلى حقيقة ضخمة قائمة فى حياتهم وملموسة.

كذلك كانت الإشارة إلى ميثاق الله الذى واثقهم به على السمع والطاعة، تستحضر لتوها حقيقة مباشرة يعرفونها. كما كانت تثير فى مشاعرهم الاعتزاز حيث تقفهم من الله ذى الجلال موقف الطرف الآخر فى تعاقد مع الله، وهو أمر هائل جليل فى حس المؤمن، حين يدرك حقيقة هذه ويتملاها.. ومن ثم يكلهم الله فى هذا إلى التقوى. إلى إحساس القلب بالله، ومراقبته فى خطراته الخافية.

وقد ورد الأمر الموجه للمؤمنين بطاعة الله ورسوله فى اثنين وعشرين موضعًا تقريبًا، وكل هذه المواضع فى السور المدنية، وكأن ذلك يعطينا لمحة لطيفة ـ إن صحت نظرتنا ـ ألا وهى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يضمن الأمر بهذه الطاعة تأكيد الثبوت والاستمرار والمداومة عليها، وكأنه يقول لهم: يا من آمنتم بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ورسولاً يا من ضحيتم بأموالكم وأنفسكم، وتركتم أوطانكم طلبًا لنصرة دين الله، ونصرة رسوله، يا من هاجرتم وتحملتم الصعاب والمشاق طاعة لله سبحانه ولرسوله؛ وجب عليكم أن تثبتوا على هذه الطاعة، وتستمروا وتداوموا عليها فى حلكم وترحالكم فى ظعنكم وفى إقامتكم، فى منشطكم ومكرهكم، فى سعتكم وفى ضيقكم.

والمواضع التى ورد فيها أمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله فى القرآن الكريم رأينا ـ بعد تأملنا فيها أنها تندرج تحت اتجاهات أربعة:

الاتجاه الأول: امتثال المؤمنين لطاعة الله ورسوله.

الاتجاه الثانى: بيان الجزاء بعد الأمر بالطاعة.

الاتجاه الثالث: الأمر الصريح بطاعة الله ورسوله.

الاتجاه الرابع: الأمر المقرون بالتحذير.

وسوف نورد فيما يلى نموذجا لكل من هذه الاتجاهات السابقة نستوضح تفسيره، ونقف على مقاصده حتى نهتدى ونسترشد بهذه المقاصد، وتهتدى عقولنا وأفئدتنا بها، ويتبين لنا أثر الطاعة فى هذه الاتجاهات على الأفراد والأمة، علنا ننتفع بها.

وقبل إيراد النماذج ينبغى أن نشير إلى لمحة بيانية تلمح من الآيات القرآنية التى تأمر المؤمنين بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ فجعل القرآن للنبى ﷺ فعلا مستقلاً فى بعض الآيات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩، محمد:٣٣]، وغيرها، وعطف طاعته ﷺ على طاعة الله تعالى فى بعضها الآخر، مثل آية سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال:٢٠].

أما الأمر المستقل بالطاعة فقد ناسب مجيئه سياق الآيتين الكريمتين، لأن آية سورة النساء تحدثت عن طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ وطاعة أولى الأمر، فجعلت لله تعالى طاعة مستقلة، وللنبى ﷺ، طاعة مستقلة، ثم عطف طاعة أولى الأمر على طاعة الله ورسوله ﷺ.

فلو أن الرسول، ﷺ لم ترد له طاعة مستقلة هنا فى هذه الآية لتوهم تساوى منزلته ﷺ بمنزلة من بعده من أولى الأمر، وربما أنزل البعض بسوء فهم، منزلته الشريفة إلى منزلتهم أو رفع منزلتهم إلى منزلته،

فأراد القرآن الكريم أن يجعل له أمرًا للطاعة مستقلاً لتحديد المنازل وتفصيل الدرجات، وللإشارة كذلك إلى أن طاعة أولى الأمر معطوفة على ما قبلها من طاعة الله ورسوله ﷺ ومستمدة منها ومنبثقة عنها، لأن هديهم ينبغي أن يكون على مراد الله ورسوله ﷺ لا يحيد عنه، ولا يتجاوز صراطه المستقيم، وحينئذ تجب على المؤمنين طاعتهم، والالتزام بأوامرهم، وهو ما قرره الخلفاء الراشدون رضوان الله تعالى عليهم، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه مثلاً عند توليه الخلافة: «أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم»[10].

ومما تكرر «الفعل «أطيعوا» فيه آية سورة المائدة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وهى تنبه - والله أعلم - على الهدى الخاص بالنبى ﷺ فى التحذير من شرب الخمر، فقد جاء الأمر من الله باجتنابه قبل هذه الآية بآيتين، وجاء التحذير منها فى السنة على لسان الرسول ﷺ لما نزلت أية تحريم الخمر هذه.

ومع ذلك جاء التنبية الشديد بالحذر من المخالفة والتهديد الملفوف، فجاء الأمر بالحذر من مخالفته ﷺ فى قوله «واحذروا»، والتحذير من التولى عن طاعة الرسول فى قوله ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

أما فى آية التغابن فربما جاء التكرار للفعل ليناسب الآية التى قبلها: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١] فيكون على المؤمن طاعة الله فى التسليم والرضا بقضائه وقدره، وطاعة الرسول فى اتباع هديه والاقتداء بسنته فى ذلك الأمر.

وأما مناسبة الاستقلال فى آية سورة محمد فلأن القرآن الكريم يريد أن يؤسس لسنة النبي ﷺ وهديه القويم، ويحذر من مشاقته وعدواته فى الآية التى قبلها فجاء مناسبًا أن تأمر الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

أن تأمر المؤمنين بطاعة الرسول ﷺ أمرًا مستقلاً حتى لا يخوضوا فيما خاض فيه الكفار والمشركون من شقاقه ومخالفته، فيؤدى بهم ذلك إلى بطلان أعمالهم، وهو ما عبرت عنه الآية (٣٣) بإحباط العمل فى حق الكافريون فيكون معنى الآية بذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ولا تخالفوه أو تعادوه، لأن فى ذلك بطلان لأعمالكم وإحباط لها. والذى يستأنس به أيضًا فى اختصاص بالآية الكريمة بالنبى ﷺ وتأسيسها لطاعته المستقلة، أن الله سبحانه وتعالى أورد فى القرآن كلمة الإحباط فى سورة الحجرات عند الحديث عن الأدب الواجب فى مخاطبة رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ

بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ١، ٢] ومعنى ذلك - والله أعلم - أن فعل الطاعة المستقل: قد ورد لأمرين: الأول للتنبيه على الهدى الخاص بالنبى ﷺ والتشريع الذى خوله الله إياه فى سنته المطهرة وتعريف المؤمنين بهديه وشريعته.

والأمر الثانى: للدلالة على أن له حرمة شخصية ووضعا اجتماعيا لابد من مراعاته واحترامه، قد يتجاوز هو أحيانا فى بعض حقوقه الشخصية، لأدبه وفرط حيائه، ولكن الله تعالى لا يتجاوز عن حق نبيه؛ كما حدث فى قصة زواجه ﷺ من السيدة زينب بنت جحش - رضى الله عنها -.

وقد يكون السر فى تكرار الفعل وعدم تكراره عند ذكر الرسول؛ كما قال البعض - وهو الأوجه - أن فى القرآن قاعدة عامة، وهى أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة؛ فالسياق يكون لله وحده فى آيات السورة؛ ولم يجر ذكر الرسول ﷺ فى السياق، أو أى إشارة إليه، كما جاء فى سورة آل عمران ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[آل عمران: ١٣٢].

أما إذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعيًا قد ذكر فيه الرسول فى السياق، كما فى قوله الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩]، و﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢] و﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ

لله وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١] و﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠] و﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤] و﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣]، و﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المجادلة: ١٣]، و﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [التغابن: ١٢] وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة.

إن الله سبحانه وتعالى قال في سورة النساء ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩] لم يقل الله تعالى: وأطيعوا أولى الأمر منكم؛ لأن طاعة أولى الأمر تبعية وليست مستقلة، وإنما هي تابعة لطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ، فأولى الأمر ليس لهم طاعة مستقلة ولكن طاعتهم تبعية بحسب طاعتهم لله ولرسوله ﷺ - كما أن طاعة أولي الأمر ليست بنفس منزلة طاعة الله ورسوله، ومن المحتمل التنازل بين أولى الأمر[١٢].

أ-الأمر الصريح بالطاعة:

طاعة الله - سبحانه وتعالى - وطاعة رسوله ﷺ في الأقوال والأعمال والأخلاق، تعني امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه، واتباع سنن رسوله مما ورد عنه من قول أو فعل أو تقرير.

وقد يخطىء من يتأثر بالتيارات الفكرية، والقوانين الدخيلة، فيحكمها في حل ما يطرأ على الساحة من مشكلات، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد، أو على مستوى الجماعات، والله تعالى يضع الميزان لسائر القيم والأحكام، وفي كلٍّ حقل من حقول الحياة، وهو كتاب الله وسنة رسوله. فإن تنازعنا في أمر فعلينا أن نخضعه لهذا الميزان، فإن لم نجد له حكمًا صريحًا في القرآن أو السنَّة لجأنا إلى القياس، وهو: ردُّ الحكم في القضايا الطارئة التي لا نصٌّ يبين حكمها، إلى الأحكام التي نص عليها الشرع للتشابه بينهما، والمماثلة في علة تشريع الحكم.

ومن هنا يعلم أن آيات القرآن الكريم قد ربطت بين طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ في مواضع كثيرة، دفعًا لتخرُّصات المفسدين وذوي الأفكار المنحرفة، الذين دعَوا إلى الاكتفاء بما جاء في القرآن الكريم، وترك ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو عمل، وقد جاءت سنة رسول الله ﷺ شارحة للقرآن مبينة لمجمله ومقيدة لمطلقه وغير ذلك من أوجه البيان.

وهذا الاتجاه وهو الأمر الصريح بطاعة الله ورسوله، يرد أحيانًا مجردًا، ويرد أحيانا مقرونا بأوامر أخرى.

وقد ورد الأمر الصريح بالطاعة في سبعة مواضع من القرآن الكريم، منها قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيما نهيا عنه من أكل الربا وما أمر به من الصدق ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بما تفيدكم الطاعة من صلاح حال مجتمعكم، وفي الآخرة بحسن الجزاء على أعمالكم، فإن الراحمين يرحمهم الرحمن(١٣).

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي كي يرحمكم فيتوب عليكم ويغفر لكم ويدخلكم دار السلام والنعيم المقيم(١٤).

قال الإمام الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه: وأطيعوا الله، أيها المؤمنون، فيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الأشياء، وفيما أمركم به الرسول. يقول: وأطيعوا الرسول أيضًا كذلك، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لترحموا فلا تعذبوا.

وقد قيل إن ذلك معاتبة من الله عز وجل لأصحاب رسول الله ﷺ الذين خالفوا أمره يوم أحد، فأخلوا بمراكزهم التي أمروا بالثبات عليها(١٥).

وقال الشوكاني: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ حذف المتعلق مشعر بالتعميم: أي في كل أمر ونهي ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي راجين الرحمة من الله عز وجل(١٦).

وأطيعوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه فلا يتكرر مع الأمر بالتقوى السابق والرسول أي الذي شرع لكم الدين وبلغكم الرسالة فإن طاعته طاعة لله تعالى لعلكم ترحمون أي لكي تنالوا رحمة الله تعالى أو راجين رحمته وعقب الوعيد بالوعد ترهيبًا عن المخالفة وترغيبًا في الطاعة(١٧).

ومن آيات الأمر الصريح بالطاعة - أيضًا - قول الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦].

قال صاحب الظلال: فهذه هي العدة.. الاتصال بالله، وتقويم القلب بإقامة الصلاة، والاستعلاء على الشح، وتطهير النفس والجماعة بإيتاء الزكاة. وطاعة الرسول والرضى بحكمه، وتنفيذ شريعة الله في الصغيرة والكبيرة، وتحقيق النهج الذي أراده للحياة: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ في الأرض من الفساد والانحدار والخوف والقلق والضلال، وفي الآخرة من الغضب والعذاب والنكال، فإذا استقمتم على النهج، فلا عليكم من قوة الكافرين، فما هم بمعجزين في الأرض، وقوتهم الظاهرة لن تقف لكم في طريق. وأنتم أقوياء بإيمانكم، أقوياء بنظامكم، أقوياء بعددكم التي تستطيعون. وقد لا تكونون في مثل عدتهم من الناحية المادية. ولكن القلوب المؤمنة التي تجاهد تصنع الخوارق والأعاجيب(١٨).

كما أنه من الآيات التي تأمر المؤمنين أمرًا صريحا بالطاعة تطالعنا الآيتان المتتاليتان في سورة آل عمران ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

وهاتان الآيتان فيهما دليل على ملمحنا الذى ألمحنا إليه سابقا ـ عند التمهيد لهذا البحث ـ وهو أن الطاعة لله ورسوله ـ خاصة إذا صدرت من المؤمن ـ أولى بها أن تكون طاعة ناشئة عن حب.

قال الإمام ابن كثير: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب فى دعواه فى نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدى، والدين النبوى فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله(١٩).

ويذكر الطبرى أكثر من قول ثم يرجح أحدها فيقول: فتأويل الآية: قل، يا محمد، للوفد من نصارى نجران: إن كنتم كما تزعمون أنكم تحبون الله، وأنكم تعظمون المسيح وتقولون فيه ما تقولون، حبًا منكم ربكم، فحققوا قولكم الذى تقولونه، إن كنتم صادقين، باتباعكم إياى، فإنكم تعملون أنى رسول الله إليكم، كما كان عيسى رسولاً إلى من أرسل إليه، فإنه إن اتبعتمونى وصدقتمونى على ما أتيتكم به من عند الله، يغفر لكم ذنوبكم، فيصفح لكم عن العقوبة عليها، ويعفو لكم عما مضى منها، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم وبغيرهم من خلقه.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ قل يا محمد لهؤلاء الوفد من نصاري نجران: أطيعوا الله والرسول محمداً، فإنكم قد علمتم يقينًا أنه رسولى إلى خلقى، ابتعثته بالحق، تجدونه مكتوبًا عندكم فى الإنجيل، فَإِن تَوَلَّوْا فاستدبروا عما دعوتهم إليه من ذلك، وأعرضوا عنه، فأعلمهم أن الله لا يحب من كفر فجحد ما عرف

من الحق، وأنكره بعد علمه، وأنهم منهم، بجحودهم نبوتك، وإنكارهم الحق الذى أنت عليه، بعد علمهم بصحة أمرك، وحقيقة نبوتك[٢٠].

يقول الشيخ سيد قطب مصوراً ظلال هذا الحب: تأتى هاتان الآيتان لتقررا فى كلمات قصيرة حقيقة الإيمان، وحقيقة الدين. تفرقا تفريقا حاسما بين الإيمان والكفر فى جلاء لا يحتمل الشبهات ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ إن حب الله ليس دعوى باللسان، ولا هياما بالوجدان، إلا أن يصاحبه الاتباع لرسول الله، والسير على هداه وتحقيق منهجه فى وإن الإيمان ليس كلمات تقال، ولا مشاعر تجيش ولا شعائر تقام ولكنه طاعة لله والرسول، وعمل بمنهج الله الذى يحمله الرسول ﷺ الظلال جـ١ ص٣٨٧.

ب ـ امتثال المؤمنين لطاعة الله ورسوله:

الطاعة لله ورسوله فيها الخير والبركة والسداد والنصر، والتاريخ يثبت أن لله سننا فى الأمم والأفراد، فيما له صلة بعافيتهم، أو هلاكهم، فمن شاء أن يُرحم سواء أكان فرداً أو أمة فعليه بطاعة الله ورسوله.

وهذا الاتجاه يبرز امتثال المؤمنين لهذه الطاعة كما يبرز امتداح الله لهم على هذا الامتثال.

وقد ورد بيان امتثال المؤمنين لطاعة الله ورسوله، وامتداحهم على هذا الامتثال فى أربعة مواضع فى القرآن الكريم، من هذه المواضع قول

الله ـ عز وجل ـ ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٥١] .

وهذا وإن كان على طريقة الخبر فليس المراد به ذلك، بل المراد به تعليم الأدب الشرعى عند هذه الدعوة من أحد المتخاصمين للآخر. والمعنى : أنه ينبغى للمؤمنين أن يكونوا هكذا بحيث إذا سمعوا الدعاء المذكور قابلوه بالطاعة والإذعان . . « وأولئك » أى المؤمنون الذين قالوا هذا القول « هم المفلحون » أى الفائزون بخير الدنيا والأخرة(٢٢) .

إنما كان ينبغى أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا إلى حكم الله وإلى حكم رسوله « ليحكم بينهم » وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا ما قيل لنا، « وأطعنا » من دعانا إلى ذلك . ولم يعن بكان فى هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى(٢٣) .

ومن آيات هذا الاتجاه ـ أيضاً ـ قول الله ـ سبحانه ـ ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة : ٧] .

يقول تعالى مذكراً عباده المؤمنين نعمته عليهم فى شرعه لهم هذا الدين العظيم . وإرساله إليهم هذا الرسول الكريم، وما أخذ عليهم من العهد والميثاق فى مبايعته على متابعته ومناصرته ومؤازرته، والقيام بدينه وإبلاغه عنه، وقبوله منه، فقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ وهذه هى البيعة التى كانوا يبايعون عليها رسول الله ﷺ عند إسلامهم، كما قالوا بايعنا

رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله[٢٤].

قال صاحب الظلال: وكان المخاطبون بهذا القرآن أول مرة يعرفون - كما قدمنا - قيمة نعمة الله عليهم بهذا الدين. إذا كانوا يجدون حقيقتها فى كيانهم، وفى حياتهم، وفى مجتمعهم، وفى مكانهم، فى البشرية كلها من حولهم. ومن ثم كانت الإشارة - مجرد الإشارة - إلى هذه النعمة تكفى، إذ كانت توجه القلب والنظر إلى حقيقة ضخمة قائمة فى حياتهم ملموسة.

كذلك كانت الإشارة إلى ميثاق الله الذى واثقهم به على السمع والطاعة، تستحضر لتوها حقيقة مباشرة يعرفونها. كما كانت تثير فى مشاعرهم الاعتزاز حيث تقفهم من الله ذى الجلال موقف الطرف الآخر فى تعاقد مع الله، وهو أمر هائل جليل فى حس المؤمن، حين يدرك حقيقته هذه ويتملاها.. ومن ثم يكلهم الله فى هذا إلى التقوى، إلى إحساس القلب بالله، ومراقبته فى خطراته الخافية[٢٥].

جـ - بيان الجزاء بعد الأمر بالطاعة:

وهذا الاتجاه يطلع المؤمنين على الجزاء الذى أعده الله لهم فى الآخرة إن هم ثبتوا واستمروا على هذه الأمر.

وقد ورد بيان هذا الجزاء الذى أعد للمؤمنين فى الآخرة فى أربعة مواضع صريحة فى القرآن الكريم مثل سابقه، ومن الآيات التى تبرز لنا هذا الجزاء قول الله - عز وجل - ﴿ **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٧١][٢٦].

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى فعل ما هو طاعة واجتناب ما هو معصية ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أى ظفر بالخير ظفرًا عظيمًا، ونال خيرى الدنيا والآخرة، وهذه الجملة مستأنفة مقررة لما سبقها[٢٧].

د- الأمر المقرون بالتحذير

هذا الاتجاه يتمثل فى الأمر للمؤمنين بالطاعة لكنه مقرون بالتحذير، أى يعقبه تحذير من عدم الامتثال.

وقد ورد هذا الأمر المقرون بالتحذير فى ستة مواضع فى القرآن الكريم، ومن هذه المواضع قول الله - عز وجل - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

واحذروا أى مخالفتهما: أى مخالفة الله ورسوله، فإن هذا وإن كان أمرًا مطلقًا فالمجيء به فى هذا الموضع يفيد ما ذكرناه من التأكيد، وهكذا ما أفاده بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أى إن أعرضتم عن الامتثال، فقد فعل الرسول ما هو الواجب عليه من البلاغ الذى فيه رشادكم وصلاحكم، ولم تضروا بالمخالفة إلا أنفسكم، وفى هذا من الزجر ما لا يقدر قدره ولا يبلغ مداه[٢٨].

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ تأكيد للتحريم وتشديد فى الوعيد وامتثال للأمر، كف عن المنهى عنه وحسن عطف، وأطيعوا الله لما كان الكلام المتقدم معنى انتهوا، وكرر وأطيعوا فى ذكر الرسول تأكيداً ثم حذر فى مخالفة الأمر وتوعد من تولى بعذاب الآخرة فقال:

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أى خالفتم ﴿أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ فى تحريم ما أمر بتحريمه وعلى المرسل أن يعاقب أو يثيب بحسب ما يعصى أو يطاع(٢٩).

وقال صاحب الظلال فى نفس الآية:

إنها القاعدة التى يرجع إليها الأمر كله: طاعة الله وطاعة الرسول.. الإسلام.. الذى لا تبقى معه إلا الطاعة المطلقة لله وللرسول.. والحذر من المخالفة، والتهديد الملفوف: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾.

وقد بلغ وبين، فتحددت التبعة على المخالفين، بعد البلاغ المبين.

إنه التهديد القاصم، فى هذا الأسلوب الملفوف، الذى ترتعد له فرائص المؤمنين!.. إنهم حين يعصون ولا يطيعون لا يضرون أحداً إلا أنفسهم. لقد بلغ الرسول ﷺ وأدى؛ ولقد نفض يديه من أمرهم إذن فما هو بمسئول عنهم، وما هو بدافع عنهم عذابا - وقد عصوه ولم يطيعوه - ولقد صار أمرهم كله إلى الله سبحانه. وهو القادر على مجازاة العصاة المؤلين!.

إنه المنهج الربانى يطرق القلوب، فتنفتح له مغاليقها، وتتكشف له فيها المسالك والدروب(٣٠).

ومن آيات الأمر المقرون بالتحذير - أيضًا قوله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

أمر الله سبحانه المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ونهاهم عن التولى عن رسوله، فالضمير فى «عنه» عائد إلى الرسول، لأن طاعة رسول الله ﷺ من طاعة الله.. ويحتمل أن يكون هذا الضمير راجعًا إلى الله وإلى رسوله كما فى قوله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ وقيل: الضمير راجع إلى الأمر الذى دل عليه أطيعوا، وأصل تتولوا، فطرحت إحدى التاءين[٣١].

الاتجاه الثانى: أمر العوام من الخلق بطاعة الله ورسوله:

ورد الأمر الموجه لعموم الخلق بطاعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وطاعة رسوله ﷺ فى واحد وعشرين موضعًا تقريبًا، وتتنوع هذه المواضع بين المكى والمدنى، أى أن منها ما نزل بمكة، ومنها ما نزل بالمدينة، ولعل هذا يعطينا لمحة إلى أن الرسول ﷺ تجب طاعته دائما فى العهد المكى وفى العهد المدنى، حتي بعد وفاته ﷺ فالخلق مأمورون بطاعته دائمًا، وباتباع ما ورد فى سنته الصحيحة فى كل وقت وحين.

وآيات هذا اللون أى الآيات التى تأمر عموم الخلق بطاعة الله وطاعة رسوله تتنوع أساليبها كما يلى:

ـ أسلوب يكون فيها الأمر بالطاعة ممزوجًا بالترغيب، وأحيانا يمزج بالترهيب، فالأول فى مثل قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

أى من عمل بما أمره الله به وترك ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله - عز وجل - يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقًا للأنبياء ثم لمن بعدهم فى الرتبة وهم الصديقون، ثم الشهداء والصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم، ثم أثنى عليهم تعالى فقال: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[٣٢].

وقد نزلت فى ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن فى وجهه، فقال له رسول الله ﷺ: ما غير لونك؟ فقال: يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع غير أنى إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين، وإنى إن دخلت الجنة كنت فى منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا، فنزلت هذه الآية[٣٣].

والثانى فى مثل قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

إن كان المراد بالسجود معناه الحقيقى، وهو وضع الجبهة على الأرض للتعظيم مع الخضوع والتذلل، فذلك ظاهر فى المؤمنين والملائكة ومسلمى الجن، وأما فى الكفار فلا يصح تأويل السجود بهذا فى حقهم، فلابد أن يحمل السجود المذكور فى الآية على معنى حق لله السجود ووجب حتى يتناول السجود بالفعل وغيره، أو يفسر السجود بالانقياد، لأن الكفار وإن لم يسجدوا لله سبحانه فهم منقادون لأمره، وحكمه فيهم بالصحة والمرض والحياة والموت والفقر والغنى، ويدل

على إرادة هذا المعنى قوله: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ فإن الكفار ينقادون كرهًا كما ينقاد المؤمنون طوعًا، وقيل الآية فى المؤمنين، فمنهم من سجد طوعًا لا يثقل عليه السجود، ومنهم من يثقل عليه لأن التزام التكليف مشقة ولكنهم يتحملون المشقة إيمانًا بالله وإخلاصًا له ﴿وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ وظلالهم جمع ظل، والمراد به ظل الإنسان الذى يتبعه، جعل ساجدًا بسجوده حيث سار لازمًا له لا ينفك عنه... فظل المؤمن يسجد لله طوعًا، وظل الكافر يسجد لله كرهًا. وخص الغدو والآصال بالذكر لأنه يزداد ظهور الظلال فيهما(٣٤).

ومنه قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء:١٣].

يقول صاحب المنار فى المراد بالطاعة هنا:

طاعة الله تعاى هى اتباع ما شرعه من الدين على لسان رسوله ﷺ وطاعة الرسول ﷺ هى اتباع ما جاء به من الدين عن ربه - عز وجل - فطاعته ﷺ هى عين طاعة الله - عز وجل - كما قال تعالى فى هذه السورة ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ فما هى النكتة إذا فى ذكر طاعة الرسول ﷺ مع ذكر طاعة الله تعالى؟ قد يقال: إن طاعة الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ إنما تتحدان فتكون الثانية عين الأولى فيما يسنده الرسول إلى ربه ويبين أنه بوحى منه. وقد يأمر الرسول بأشياء وينهي عن أشياء باجتهاده، فإذا جزم بذلك ولم يقم دليل على أن الأمر

للإرشاد أو الاستحباب، والنهى للكراهة أو الاستهجان وجبت طاعته فى ذلك، سواء كان فى العبادات أو الأوامر السياسية والقضائية لأنه إمام الأمة وحاكمها.

ثم يورد رزى الشيخ محمد عبده فى تفسير الآية فيقول طاعة الرسول هى طاعة الله بعينها، لأنه دائمًا يأمرنا بما يوحيه إليه الله من مطالحنا التى فيها سعادتنا فى الدنيا والآخرة، وإنما يذكر طاعة الرسول مع طاعة الله لأن من الناس من كانوا يعتقدون ـ قبل اليهود وبعدها، وكذلك بعد الإسلام إلى اليوم ـ أن الإنسان يمكن أن يستغنى بعقله وعلمه عن الوحى، يقول أحدهم إننى أعتقد أن للعالم صانعا عليما حكيما وأعمل بعد ذلك بما يصل إليه عقلى من الخير واجتناب الشر، وهذا خطأ من الإنسان، ولو صح ذلك لما كنا فى حاجة إلى الرسل، والإنسان محتاج بطبيعته النوعية إلى هداية الدين، وأنها هى الهداية الرائعة التى وهبها الله للإنسان بعد هداية الحواس والوجدان والعقل، فلم يكن العقل فى أى عصر من العصور كافيا لهداية أمة من أممه، ومرقيا له بدون معونة الدين[٣٥].

ـ والأسلوب الثانى من أساليب أمر عموم الخلق بطاعة الله ورسوله ما يكون الأمر بالطاعة فيه موجها من الرسل لأقوامهم، ويحكيه القرآن على لسان هؤلاء الرسل، ونجد فقط نمطًا من هذه الآيات قد يختلف عن بقية الآيات التى تتبع هذا الأسلوب ألا وهى آية: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: ٦٤].

يعنى بذلك جل ثناؤه: ولم نرسل، يا محمد، رسولاً إلا فرضت طاعته على من أرسلته إليه. يقول تعالى ذكره: فأنت، يا محمد، من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من أرسلته إليه.

وإنما هذا من الله توبيخ للمحتكمين من المنافقين، الذين كانوا يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إلى النبى ﷺ - فيما اختصموا فيه إلى الطاغوت، صدوداً عن رسول الله ﷺ يقول لهم - تعالى ذكره -: ما أرسلت رسولاً إلا فرضت طاعته على من أرسلته إليه، فمحمد ﷺ من أولئك الرسل، فمن ترك طاعته والرضى بحكمه واحتكم إلى الطاغوت، فقد خالف أمرى، وضيع فرضى.

ثم أخبر جل ثناؤه: أن من أطاع رسله، فإنما يطيعهم بإذنه، يعنى: بتقديره ذلك وقضائه السابق فى علمه ومشيئته[٣٦].

وقد يكون ذلك - والله أعلم - لأن الحديث قبل هذه الآية كان يدور عن المنافقين[٣٧] فأراد الله - عز وجل - أن يبين لهم مكانة رسوله ﷺ وقدره، فجاءت هذه الآية تبين لهم أنه لابد وأن يطاع رسوله فى أوامره من الجميع، أما بقية آيات هذا اللون فيأتى الأمر فيها بالطاعة على لسان الرسول نفسه، فيطلب الرسول من قومه طاعته واتباع دعوته، وغالبًا ما يسبق الأمر بالطاعة فيها بالأمر بتقوى الله، وبيان ما عمهم من نعم وأفضال من عند الله على يد هذا الرسول؛ حتى يكون ذلك أجدى فى تلبية أمره بتقوى الله وطاعة رسوله.

وذلك فى مثل قول الله تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ

وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آل عمران: ٥٠][٣٨].

ـ أما الأسلوب الثالث من أساليب أمر عموم الخلق بطاعة الله ورسوله، فيأتى مبرزاً للطاعة على هيئة أخرى فلا يصور الاستسلام والطاعة من عموم الناس فحسب، بل يتعدى ذلك عموم الناس إلى عموم الكائنات، وقد ورد هذا الأسلوب فى موضعين اثنين من القرآن الكريم، والذى يلحظ هذين الموضعين يجد أن الله سبحانه يبرز الطاعة والاستسلام بهذا الأسلوب، أى صدورها من الكائنات جميعها فى موضع، ومن السماء والأرض فى الموضع الثانى، أقول من يتأمل هذين الموضعين بدقة يجد أنهما واردان فى معرض التعريض بالكفار والمكذبين الذين لا يقرون بالوحدانية ويكفرون بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وفى معرض الذم لهم، ومن يقرأ الآيات التى تسبق كلا الموضعين يدرك ذلك بوضوح، والموضعان هما: الأول قول الله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣].

﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ ﴾ خضع وانقاد، ﴿ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ فالطوع: الانقياد والاتباع بسهولة، والكره: ما كان بمشقة وإباء من النفس.

واختلفوا فى قوله ﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ قال الحسن: أسلم أهل السموات طوعًا وأسلم من فى الأرض بعضهم طوعًا وبعضهم كرهًا،

خوفًا من السيف والسبى، وقال مجاهد: طوعًا المؤمن، وكرهًا ذلك الكافر(٣٩).

والثانى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أى استجيبا لأمرى طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أى قالت السموات والأرض أتينا أمرك طائعين(٤٠).

قال الزمخشرى: وهذا على التمثيل أى أنه ـ تعالى ـ أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه، وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع، والغرض تصوير أثر قدرته فى المقدورات من غير أن يكون هناك خطاب وجواب، ومثله فى قول القائل: قال الحائط لمسمار لم تشقنى؟ قال: سل من يدقنى(٤١).

ـ ويبقى أسلوب رابع رائع الظهور والأهمية، وعليه مدار كثير من التكاليف، وهو وإن كان قد ورد فى موضع واحد باللفظ الصريح للطاعة، إلا أنه قد بلغ الغاية فى الأهمية؛ لأنه يؤكد لذوى النفوس المريضة، وذوى العقول المجادلة أن السنة هى المصدر الثانى للتشريع، ويقرر ما فى الآية الكريمة: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

فطاعة الرسول ﷺ ضرورية حتّى فى أصغر الأمور وأدقّها، وهذا تعليم للأمة المؤمنة كيفية التعامل مع قائدها وولى أمرها. والأمكنة

التى تتوجب فيها طاعة رسول الله ﷺ كثيرة، وقد عدَّدت الآيات القرآنية بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر، وخاصَّة فيما يتعلق بعمل المؤمنين بوصفهم مجموعة، فهم ملزمون بالبقاء إلى جانب رسول الله ﷺ عند كل أمر جامع هام، فيه مصلحة الأمة، وهذا تأكيد على دور الفرد وأهميته فى الأمور المصيرية، فلا يحق لأحد أن يتخلَّى عن تأدية هذا الدور، لأن الفرد المسلم ملك لأمتَّه ، وهو عضو من أعضاء جسدها الواحد، وعليه أن يشاركها المعاناة والتضحية، والبناء وترسيخ القواعد الإيمانية، بكل جديَّة ووعى وتقدير للمسئولية.

ومن هنا يعلم أن آيات القرآن الكريم قد ربطت بين طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ فى مواضع كثيرة، دفعًا لتخرصات المفسدين وذوى الأفكار المنحرفة، الذين دعوا إلى الاكتفاء بما جاء فى القرآن الكريم، وترك ما ورد عن النبى ﷺ من قول أو عمل، وقد جاءت سنة رسول الله ﷺ شارحة للقرآن مبينة لمجمله ومقيدة لمطلقه وغير ذلك من أوجه البيان.

وعلى هذا فإن أقواله وأفعاله هى من وحى الله عز وجل، فصَحَّ بذلك أن تكون مصدرًا ثانيًا للتشريع بعد القرآن الكريم، وإن ترك هذا المصدر هَدْمٌ لركن من أركان التشريع، فمن أعرض عن السنَّة؛ فقد حرم نفسه من ثمرات التطبيق النبوى، فتاه وضلَّ عن سواء السبيل.

وهذا الموضع الذى ورد بهذا الأسلوب الفائق الروعة هو الوارد فى قول الله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأن من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى[٤٢].

قال صاحب الظلال: إن وظيفة الرسول هي أداء الرسالة. لا إحداث الخير ولا إحداث السوء. فهذا من أمر الله، والله شهيد على أنه أرسل النبي ﷺ لأداء هذه الوظيفة ﴿وكفى بالله شهيدا﴾...

وأمر الناس مع الرسول ﷺ أن من أطاعه فقد أطاع الله. فلا تفرقة بين الله ورسوله. ولا بين قول الله وقول رسوله.. ومن تولى معرضا مكذبا فأمره إلى الله من ناحية حسابه وجزائه. ولم يرسل الرسول ﷺ ليجبره على الهدى، ويكرهه على الدين، وليس موكلاً بحفظه من العصيان والضلال. فهذا ليس داخلاً في وظيفة الرسول؛ ولا داخلاً في قدرة الرسول.

بهذا البيان يصحح تصورهم عن حقيقة ما يقع لهم. فكله لا ينشأ ولا يتحقق إلا بإرادة الله وقدره. وما يصيبهم من حسنة أو سيئة - بأي معنى من معاني الحسنة أو السيئة، سواء حسب ما يرونه هم في الظاهر، أو ما هو في حقيقة الأمر والواقع - فهو من عند الله. لأنه لا ينشيء ولا يحدثه ولا يخلقه ويوجده إلا الله... وما يصيبهم من حسنة حقيقة - في ميزان الله - فهو من عند الله، لأنه منهجه وهدايته. وما يصيبهم من سيئة حقيقة - في ميزان الله - فهو من عند أنفسهم، لأنه بسبب تنكبهم عن منهج الله والإعراض عن هدايته..

والرسول وظيفته الأولى والأخيرة أنه رسول. لا ينشيء ولا يحدث ولا يخلق ولا يشارك الله تعالى في خاصية الألوهية هذه - وهي الخلق والإنشاء والإحداث - وهو يبلغ ما جاء من عند الله، فطاعته فيما يأمر به إذن هي طاعة الله. وليس هناك طريق آخر لطاعة الله غير طاعة الرسول. والرسول ليس مكلفًا أن يحدث الهدى للمعرضين المتولين، ولا أن يحفظهم من الإعراض والتولي. بعد البلاغ والبيان..

حقائق - هكذا - واضحة مريحة، بينة صريحة؛ تبنى التصور، وتريح الشعور؛ وتمضى شوطًا مع تعليم الله لهذه الجماعة، وإعدادها لدورها الكبير الخطير(٤٣).

إنه إيجاب إلهى على كل من أدرك رسول الله ﷺ بالطاعة وتأكيد على أن طاعة رسول الله ﷺ من طاعة الله - عز وجل - وأمام ذلك ينتفي اختيار الإنسان ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وليحذر كل من يخالف ذلك أشد الحذر وبعد ذلك لا يلومن إلا نفسه ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

الاتجاه الثالث: الصبر على طاعة الله ورسوله:

الصبر هو نصف الإيمان، وذلك لأن الإيمان نصفه صبر والنصف

الآخر شكر، وقد ذُكر الصبر في القرآن في تسعين موضعًا في مواطن المدح والثناء والأمر به، وهو واجب بإجماع الأمة.

وقد ورد الصبر على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ باللفظ في موضوعين اثنين، وإن كان ظاهر الآيتين لا يتبين للناظر من أول وهلة، لكنه حينما يدقق النظر في الآيتين، ومناسبتهما لما قبلهما وما بعدهما من آيات يتضح له ذلك بجلاء.

أما ورود الصبر بالمعنى فهو كثير، منه ما هو موجه إلى النبي ﷺ ومنه ما هو موجه إلى أفراد بعينهم، لكن ما يوجه إلى الرسول ﷺ بالطبع ينسحب إلى أفراد أمته، وما يوجه إلى فرد من صحابة رسول الله ينسحب إلى بقية أفراد الأمة، وخاصة في مثل هذا المجال.

وهناك مجالان آخران يتعلقان بالصبر على الطاعة، رأينا أن نلقي الضوء عليهما - باختصار - وذلك ليتم المعنى للصبر على الطاعة، وتكمل الفائدة وتعم المنفعة، وقلت باختصار؛ لأنهما لم يرد لهما - فيما أعلم - نص صريح باللفظ في القران الكريم، لكن نبهت السنة عليهما كثيراً، وبينت الأجر الجزيل لمن يلتزم بهما.

والمجالان هما: الصبر عن المعصية، والصبر على ابتلاء الله.

وقد تناول الإمام ابن القيم - رحمه الله - هذه المجالات الثلاثة فقال في بيانها:

فالأولان - أي الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية - صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه.

ويضيف ابن القيم - رحمه الله - فيقول:

وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّس الله روحه - يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له فى الجب، وبيعه، وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره، ولا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، أما صبره عن المعصية، فصبر اختيار ورضا، ومحاربة النفس، ولا سيما مع الأسباب التى تقوى معها دواعي الموافقة فإنه كان شابًا، وداعية الشباب إليها قوية، وعزبًا ليس له ما يعوضه ويبرد شهوته، وغريبا والغريب لا يستحى فى بلد غربته مما يستحى منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله، ومملوكًا والمملوك أيضًا ليس له وازع كوازع الحر، والمرأة جميلة، وذات منصب، وهى سيدته، وقد غاب الرقيب، وهى الداعية له إلى نفسها، والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعى كلها صبر اختياراً وإيثاراً لما عند الله، وأين هذا من صبره فى الجب على ما ليس من كسبه؟!

وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمًات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية(٤٤).

ويؤيد ما قاله شيخ الإسلام أن الله قرن بين الصبر والإيمان والعمل، حيث قال فى سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

ودليل ذلك أن كثيراً من الخلق يسهل عليهم الصبر على المصائب والبلايا وعن المعاصى، ولكن قليلا منهم من يصبر على طاعة الله عز وجل، بل من الناس من يصبر على المعاصى ويتحمل من أجلها ما لا يتحمل قليلاً منه على طاعة الله عز وجل.وربما يظن ظان أن هذه المجالات من باب الصبر، ونقول: حقيقة إنها تخص باب الصبر أكثر لكنها متممة للطاعة، والصبر فى حقيقته طاعة، خاصة حينما يكون مجاهدة لمعصية، أو مجاهدة للنفس والهوى والشيطان، أو رضا بقضاء الله وقدره، وهذا هو الصبر على البلاء.

والصبر فى حقيقته: حبس النفس على ما تكره، ولا يكون حبس النفس على ما تكرهه، أو كبح جماحها عما تشتهيه إلا طاعة لله - سبحانه - أو طاعة لرسوله ﷺ.

وفيما يلى - إن شاء الله - سنورد نموذجين للصبر على الطاعة ونستوضح تفسيرهما لنقف على ما فيهما من عظات وعبر، جامعين بين ما ورد فى هذا المجال بالمعنى، وماورد فيه باللفظ وذلك لقلة ما ورد هنا باللفظ.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

أى اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه

ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيًا، من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء، أو أقوياء أو ضعفاء، يقال: إنها نزلت فى أشراف قريش حين طلبوا من النبى ﷺ أن يجلس معهم وحده، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه، كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، وليفرد أولئك بمجلس على حده، فنهاه الله عن ذلك فقال: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾(٤٥).

﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ الدعاء: العبادة مطلقًا، وقيل المحافظة على صلاة الجماعة، وقيل الذكر وقراءة القرآن، وقيل المراد الدعاء لله يجلب النفع ودفع الضرر. قيل: والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام على ذلك والاستمرار، وقيل هو على ظاهره، و﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ أى: أنهم مخلصون فى عبادتهم لا يريدون بذلك إلا وجه الله تعالى: أى يتوجهون بذلك إليه لا إلى غيره(٤٦).

● ● ●

هوامش التمهيد والمبحث الأول

(١) معجم مقاييس اللغة:٣/ ١٣٤ لأبى الحسين أحمد بن فارس بن ذكريات ٣٩٥هـ تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٢) لسان العرب مادة طوع:٨/ ٢٤٠ - ٢٤١، جمال الدين محمد بن مكرم بن منصور الإفريقى المصرى، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م، المنجد فى اللغة والأعلام ٤٧٥ دار المعرفة - بيروت، ط٢٨، المعجم الوسيط ٢ / ٥٧٠ .

(٣) المفردات فى غريب القرآن: ٣١٠ لأبى القاسم بن محمد المفضل المشهور بالراغب الأصفهانى، دار المعرفة - بيروت .

(٤) التعاريف: باب الطاء فصل الألف: ١ /٤٧٧ محمد عبد الرؤوف المناوى ت١٠٣١هـ تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر - بيروت، ودار الفكر - دمشق، ط١ / ١٤١٠هـ التعريفات باب الطاء ١ /١٨٢ على بن محمد الجرجانى، دار السرور - بيروت .

(٥) تفسير المنار للشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا:٤ /٤٢٨، ٤٢٩ ط / دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط / ٢دت .

(٦) مقدمة تاريخ ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار الجيل - بيروت، ص٢٦١ .

(٧) النظام السياسى فى الإسلام - د. عبد العزيز الخياط دار السلام - القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ص١٠٨.

(٨) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقى. مادة طوع ص٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ط/دار الحديث بالقاهرة ط ثالثة ١٤١١هـ/

1991م، الإعجاز العددى للقرآن لعبد الرزاق نوفل ص21 - 23 ط/مؤسسة دار الشعب ثالثة.

(9) سورة النساء آية: 59.

(10) نداء المؤمنين فى القرآن د/ محمد مصطفى منصور ص178، 167 ط/دار غريب بالقاهرة 1999م.

(11) السابق: 169.

(12) لمسات بيانية فى نصوص من التنزيل ص45 للدكتور فاضل السامرائى الأستاذ بكلية اللغة العربية فى جامعة الشارقة ط/دار القاسم بالإمارات.

(13) تفسير المنار 4/131.

(14) أيسر التفاسير للشيخ أبى بكر جابر الجزائرى الواعظ بالمسجد النبوى الشريف 1/376 ط/مكتبة العلوم والحكم.

(15) جامع البيان فى تأويل أى القرآن: 4/91 محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى ط/دار الفكر - بيروت ط/1405.

(16) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير - 1/574 محمد بن على بن محمد الشوكانى ت1250 هـ/ط دار الفكر - بيروت.

(17) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى 4/56، محمود الآلوسى أبو الفضل ط/ دار إحياء التراث العربى - بيروت.

(18) فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ط/دار الشروق، ط/11- 1405هـ مج4 ص2530.

(19) تفسير القرآن العظيم 1/359 إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى ت774 ط/ دار الفكر - بيروت 1401.

(20) جامع البيان: 3/232، 233.

(٢١) فى ظلال القرآن : ١ / ٣٨٧ ، واقرأ فى الأمر الصريح بالطاعة غير ما مضى ذكره آية : ٣٢ الأحزاب، ٥٩ النساء، ١٣ المجادلة، ١٦ التغابن.

(٢٢) فتح القدير ٤ / ٤٥ .

(٢٣) جامع البيان للطبرى: ١٨ / ١٥٧، ١٥٨ .

(٢٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢ / ٣١ .

(٢٥) الظلال : ٢ / ٨٥١، واقرأ فى نفس الاتجاه البقرة: ٢٨٥ ، والتوبة : ٧١ .

(٢٦) واقرأ فى نفس الموضوع آيتا الفتح : ١٦ ، ١٧ ، وآية الحجرات : ١٤ .

(٢٧) فتح القدير ٤ / ٣١٠ .

(٢٨) فتح القدير: ٢ / ٧٤ .

(٢٩) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٢٩٣ ، محمد بن أحمد بن أبى بكر القرطبى ت٦٧١ ، ط / دار الشعب القاهرة ط / ثانية ١٣٧٢هـ تحقيق أحمد عبد العليم البردونى .

(٣٠) فى ظلال القرآن مج٢ ص٩٧٦ .

(٣١) فتح القدير للشوكانى : ٢ / ٢٩٨ ، وتدبر فى الأمر المقترن بالتحذير غير ما مر ذكره آية ١، ٤٦ الأنفال، ٣٣ محمد، ١٢ التغابن.

(٣٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ /٥٢٣، ٥٢٤ .

(٣٣) معالم التنزيل للبغوى: ١ / ٤٥٠ وانظر: أسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ت٤٦٨هـ على هامش مصحف القرآن الكريم بمختصر تفسير الطبرى ص١٣٢ إصدار دار الفجر الإسلامى دمشق، بيروت ط / خامسة ١٤٢٢هـ.

(٣٤) فتح القدير ٣ / ٧١ .

(٣٥) تفسير المنار ٤ /٤٢٨ ، ٤٢٩ ، وتدبر فى ذلك غير مامر ذكره: النور: ٥٢، الشعراء: ١٥٠ .

(٣٦) جامع البيان: ٥ / ١٥٧ .

(٣٧) اقرأ النساء: ٦١، ٦٣ .

(٣٨) انظر آية: ٤٩ قبل الآية المذكورة، ومثل ذلك آية: ٩٠ طه، والشعراء ١٠٨، ١١٠، ١٢٦، ١٣١، ١٤٤، ١٥٠، ١٦٣، ١٧٩، والزخرف: ٦٣، ونوح٣ .

(٣٩) معالم التنزيل للبغوى: ١ / ٣٢٢ .

(٤٠) صفوة التفاسير ٣ / ١١٧ ـ للشيخ محمد على الصابونى الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ط / دار القرآن الكريم / بيروت ط / خامسة ١٤٠٢ / ١٩٨١م .

(٤١) الكشاف ٤ / ١٤٨ فى حقائق التنزيل وعيون الأقاويل . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ت٥٣٨هـ، دار الفكر، ط١٣٩٧، ١هـ – ١٩٧٧م .

(٤٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١ / ٥٢٩ .

(٤٣) الظلال مج٢ ص٧٢٠ .

(٤٤) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم تهذيب عبد المنعم صالح العلى ص٣٥٤ .

(٤٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير وانظر: أسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ت٤٦٨هـ على هامش مصحف القرآن الكريم بمختصر تفسير الطبرى ص٢٨٤ .

(٤٦) فتح القدير: ٢ / ١٢٠ .

●●●

المبحث الثانى
الطاعة المشروعة للعباد

وردت الطاعة الشمروعة من العباد للعباد فى القرآن الكريم فى مواضع قليلة جداً لا تكاد تساوى عدد أصابع اليد الواحدة ولعل هذا يعطينا لمحات عديدة منها:

أن العباد لابد أن يكون ولاؤهم الكامل وطاعتهم التامة لله ـ عز وجل ـ وهذه الطاعة وذاك الولاء يجب أن يكون فى أعلى الدرجات ومنها: أن يوجه العبد نظرة إلى الله دائماً وفى كل الأحوال ولا يطلب إلا رضاه ـ سبحانه ـ حتى ولو كان ذلك بسخط الناس، لأن من أرضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس.

ومنها ـ أيضاً ـ أن العباد مهما ارتفع شأنهم وعلت مكانتهم ـ حتى يطاعوا ـ فهذا الشأن صغير، وتلك المكانة وضيعة مقارنة بشأن رسول الله ﷺ الذى أمر العباد بطاعته، كما أنه لا يجوز المقارنة أصلا فى جانب الله ـ عزوجل ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

كما أنه مما لابد منه الإشارة إلى أن هذه الطاعة ما شرعت لهولاء العباد إلا لفضلهم على من أمروا بطاعتهم، وهذا الفضل ما حازوه إلا بكثرة طاعتهم العليا لله ـ عزوجل ـ أى أن المزية التى أوتوها سببها نفس الفعل، لكن للقوة العليا، كما أنه لابد من الإشارة أيضاً إلى أن هذه الطاعة المشروعة لهولاء العباد ليست مطلقة فى كل الأحوال، بل أنها مقيدة بالطاعة الأصلية، بالطاعة العليا، طاعة الله عزوجل ـ وفى ذلك

ورد قول الله عزوجل: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٥].

وروى عن الصديق أبى بكر قوله: أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم.

وقد وردت الطاعة المشروعه للعباد باللفظ الصريح، وبالمعنى الذى يفهم من سياق الآيات، كما أن منها ما لم يرد فى آيات القرآن الكريم بنصه، لكنه ورد بكثرة فى سنة رسول الله ﷺ والطاعة المشروعة للعباد تتمثل فى طاعة أولى الأمر، وطاعة المرأة لزوجها، وطاعة الوالدين، وطاعة القائد فى ساحة الجهاد والطاعة فى الخير.

طاعة أولى الأمر

أولو الأمر هم الأمراء والعلماء وأمراء المسلمين وعلماؤهم يطاعون فى طاعة الله إذا أمروا بطاعة الله ولا يطاعون فى معصية الله.

فالأمراء والعلماء يطاعون فى المعروف، لكى تستقيم الأحوال، ويحصل الأمن، وتنفذ الأوامر، وينصف المظلوم، ويردع الظالم، أما إذا لم يطاعوا فقد تفسد الأمور ويأكل القوى الضعيف.

ومن هنا فواجب الرعية أن طاعتهم فى طاعة الله سواء كانوا أمراء أو علماء ـ العالم يبين حكم الله والأمير ينفذ حكم الله

هذا ما يقره كثير من العلماء غير تفسيرهم لقول الله تعالى: ﴿ يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:٥٩].

فقد عمم ابن كثير ـ رحمه الله ـ أولى الأمر فقال: والظاهر أن أولى الأمر عامة فى كل أولى الأمر من الأمراء والعلماء[١].

وأكد الشوكانى ذلك عندما فسر الآية فقال: لما أمر سبحانه القضاة والولاة إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالحق، أمر الناس بطاعتهم هاهنا، وطاعة الله ـ عزوجل ـ هى امتثال أوامره ونواهيه، وطاعة رسوله ﷺ هى فيما أمر به ونهى عنه. وأولى الأمر: هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية، والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية، (فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ[٢] وقال جابر بن عبدالله ومجاهد: إن أولى الأمر: هم أهل القرآن والعلم، وبه قال مالك والضحاك[٣].

وقال الشيخ محمد المكى: وهكذا يدخل تحت أولى الأمر من الوجهة العملية والتنفيذية أمراء المسلمين بما تحملوا من مسئولية، وكذا علماء المسلمين بما ائتمنهم الله عليه من النظر فى الكتاب والسنة، وكل ما يدور فى فلكهما، مما لا غنى له فى تيسير شئون الدولة[٤].

قال الطبرى رحمه الله بعد أن ذكر أقوالاً عدة فى بيان المقصود بأولى

الأمر، قال: وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاة، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأمة والولاة فيما للمسلمين فيه مصلحة(٥).

واستدل القرطبى بسياق الآيات على ما رجحه الطبرى فقال:

إن الله تعالى لما أمر فى الآية السابقة لهذه الآية الولاة بأداء الأمانات، وأن يحكموا بين الناس بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨] ثم أمر الرعية فى هذه الاية بطاعة - عز وجل - أولاً، ثم بطاعة رسوله ثانية ثم بطاعة الأمراء ثالثًا وذلك على قول الجمهور وأبى هريرة وابن عباس - رضى ا> عنهم - وغيرهم(٦) وأضاف الزمخشرى إضافة بديعة تتعلق بالتفريق فى الطاعة بين أمراء الجور، وأمراء الحق، فأمراء والجور، الله ورسوله بريئان منهم، فلا يعطفون على الله ورسوله فى وجوب الطاعة لهم، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما فى إيتاء العدل، واختيار الحق، والنهى عن أضدادهما، كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان(٧).

وقال الشيخ سيد قطب - رحمه الله -:

الله - سبحانه - واجب الطاعة... فشريعته واجبة التفنيذ، وعلى الذين آمنوا أن يطيعوا الله ابتداءً وأن يطيعوا الرسول بماله من هذه الصفة صفة الرسالة من الله - فطاعته إذن من طاعة الله الذى أرسله بهذه الشريعة، وبيانها للناس فى سننه.. والإيمان يتعلق وجوداً وعدما بهذه

الطاعة وهذا التنفيذ بنص القرآن ﴿إن كُنتُمْ... الآخِرِ﴾ فأما أولو الأمر فالنص يعين من هم ﴿وأُولِي... مِنكُمْ﴾ أى من المؤمنين الذين يتحقق فيهم شرط الإيمان وحد الإسلام المبين فى الآية من طاعة الله وطاعة الرسول، وإفراد الله - سبحانه - بالحاكمية.. والنص يجعل من طاعة الله أصلاً، ومن طاعة رسوله أصلاً كذلك - ويجعل طاعة أولى الأمر تبعًا لطاعة الله وطاعة رسوله، فلا يكرر لفظ الطاعة **«أطيعوا»** عند ذكرهم كما كررها عند ذكر الرسول ﷺ ليقرر أن طاعتهم مستمدة من طاعة الله وطاعة رسوله.. وطاعة أولى الأمر - منكم - فى حدود المعروف المشروع من الله والذى لم يرد نص بحرمته؛ ولا يكون من المحرم عندما يُرد إلى مبادىء شريعة الله عند الاختلاف فيه(٨).

وحينما سئل أحد العلماء - المعاصرين -(٩) عن المقصود بأولى الأمر فى الآية المذكورة أجاب بقوله:

الصواب فى أولى الأمر، هم العلماء بالله وبشرعه وهم أمراء المسلمين عليهم أن ينفذوا أمر الله وعلى الرعية أن تسمع لعلمائها فى الحق وأن تسمع لأمرائها فى المعروف - أما إذا أمروا بمعصية سواء كان الآمر أميرًا أو عالما فإنهم لا يطاعون فى ذلك، فإذا قال لك أمري اشرب الخمر فلا تشربها، وإذا قال لك كل الربا فلا تأكله، وهكذا مع العالم إذا أمرك بمعصية الله فلا تطعه، والتقى لا يأمر بذلك لكن قد يأمر بذلك العالم الفاسق. والمقصود أنه إذا أمرك العالم أو الأمير بشىء من معاصى الله فلا تطعه فى معاصى الله إنما الطاعة فى المعروف كما قال النبى ﷺ: **«لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق»**(١٠). لكن لا يجوز الخروج علي

الأئمة وإن عصوا بل يجب السمع والطاعة فى المعروف مع المناصحة حتى تنتظم الأمور وتصلح الأحوال ويأمن الناس وينصف المظلوم ويردع الظالم وتأمن السبل، ولا تنزعن يدا من طاعة لقول النبى ﷺ: **«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى المنشط والمكره، وفيما أحب وكره، ما لم يأمر بمعصية الله فإن أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة»**(١١).

بقى أن نذكر هنا مجموعة من اللطائف المهمة التى تضمنتها هذه الآية:

١ـ إن طاعة الله وطاعة رسوله متلازمتان.

٢ـ أعاد سبحانه فعل الطاعة **«وأطيعوا»** مع الرسول فقال سبحانه: ﴿ **وَأَطِيعُوا** ﴾ [النساء:٥٩] ولم يعده مع أولى الأمر، للإشارة إلى استقلال الرسول ﷺ بالطاعة حتى ولو كان ما يأمر به ليس منصوصا عليه فى القرآن، لأنه لا ينطق عن الهوى، وللإيذان بأن طاعة الرسول ﷺ أعلى من طاعة أولى الأمر(١٢).

٣ـ إن طاعة أولى الأمر ليست مستقلة لذاتها، حيث أنها مقرونة بطاعة الله وطاعة رسوله(١٣).

طاعة المرأة لزوجها:

لقد نظم الإسلام الحياة الزوجية على أسس سليمة وقوية ومعقولة فيها كل مقومات بناء المجتمع السوى السليم الذى تحفه السعادة والاطمئنان والود.

وإذا كان الإسلام قد حدد للزوجين حقوقًا وواجبات؛ فإن ذلك انطلاقا نحو توضيح العلاقة التى تجمع بين الأزواج بشكل يكون فيه كل طرف عارفًا بحقوقه وواجباته؛ حتى لا تصبح الحياة فوضى لا صراط لها.

والطاعة الزوجية حق رتبه الشرع للزوج على زوجته، ومدلوله أن تلتزم الزوجة بطاعة زوجها وتنقاد لأمره وتلين له، ولا تمانع فيما ليس فيه مخالفةٌ للشرع ومغضبة للرب ويقال للزوجة مطيعة وطائعة ومطواعة لزوجها متى كانت مدركَة لواجباتها الزوجية.

وعليه فإن الإسلام وهو يلزم الزوجة بطاعة زوجها، بما ليس فيه معصية لله وشرعه، لا ينقص من حق المرأة وكرامتها، وأما النشوز فيولد الشحناء والبغضاء ويوجب النفور ويفسد العواطف وينشىء القسوة ويلحق بالمرأة البلاء، يجعلها مصدر بؤس وشقاء، وإن الزوجة كلما أخلصت فى طاعة زوجها ازداد الحب والولاء، وتوارث ذلك الأبناء فساد جو السعادة وانقشع جو الشحناء.

ومن لوازم طاعة الزوجة لزوجها التزامها بكل ما من شأنه رضاه وجلب السعادة إلى البيت ونشر الحب فيه فليس لها أن تقوم بأى عمل من شأنه تعكير صفو الحياة الزوجية، ورفض أى مطلب للزوج ما التزم حدود الشرع فيه، وإن عليها حسن معاشرة أهل الزوج واحترام مشاعره والوفاء له، وعليها أن تكون حريصة على مال الزوج فلا تبذر ولا تسرف بغير وجه حق.

وتكون الطاعة فى قبول الاستمتاع، وعدم الخروج من المنزل إلا بإذن زوجها، فلا تعصه إن طلبها إلى الفراش ولو كانت على التنور، أو على ظهر دابة، ما لم يشغلها ذلك عن الفرائض، إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق. ومن الطاعة كذلك التزام الستر الشرعى حال الخروج من البيت.

كذلك من الطاعة عدم صومها تطوعًا وزوجها شاهد إلا بإذنه، وألا تأذن لأحد فى بيته إلا بإذنه.

وحق الطاعة للزوج يجب ألا تصحبه إساءة فى استخدامه، إذ يجب على الزوج أن يحسن معاملة زوجته ويعاشرها بالمعروف فالإسلام صان المرأة وحفظ لها كرامتها وكيانها ومشاعرها.

وعلى الرغم من أن طاعة الزوجة لزوجها لم ترد فى القرآن بلفظها إلا مرة واحدة لكنها وردت كثيراً فى سنة رسول الله ﷺ ولننظر ما قاله المفسرون فى هذه الآية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤] يقول تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أى الرجل قيم على المرأة، أى هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت. ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أى لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة

بالرجال، وكذلك الملك الأعظم لقوله ﷺ **«لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»**(١٤) ﴿ **وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ أى من المهور والنفقات والكلف التى أوجبها الله عليهم لهن فى كتابه وسنة نبيه ﷺ، فالرجل أفضل من المرأة فى نفسه، وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيما عليها... وقوله تعالى: ﴿ **وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ** ﴾ أى والنساء اللاتى تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن، والنشوز هو الارتفاع، فالمرأة الناشز هى المرتفعة على زوجها، التاركة لأمره المعرضة عنه المبغضة له، فمتى ظهر له منها أمارات النشوز فليعظها وليخوفها عقاب الله فى عصيانه، فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والإفضال...، وروى البخاري عن أبى هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ **«إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح»**(١٥) وقوله ﴿ **وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ** ﴾ قال على بن أبى طلحة، عن ابن عباس: الهجر هو أن لا يجامعها، ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره، وكذا قال غير واحد. وزاد آخرون.. ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها.. ﴿ **وَاضْرِبُوهُنَّ** ﴾ أى إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران، فلكم أن تضربوهن ضربا غير مبرح.. ﴿ **فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً** ﴾ أى إذا أطاعت المرأة زوجها فى جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها، فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها. وقوله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً** ﴾ تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلى الكبير وليهن، وهو ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن(١٦).

طاعة الوالدين:

يتوجه الله سبحانه وتعالى فى الوصية الثانية للوالدين أى بعد الأمر بعبادته ـ سبحانه ـ وعدم الإشراك به شئيا ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ [الإسراء:٢٣]، حيث لهما دورهما فى وجود الإنسان، لأنهما الوسيلة العملية الفعلية له والذى خلقه الله ونظمه وجعل له قوانين فى جسد أبيك وفى جسد أمك، وتعهدك وأنت نطفة، فعلقة، فمضغة، ثم بعد أن صار عظامًا كسا الله العظام لحمًا وأنشأه خلقًا آخر، وبعدها انطلق فى الحياة يرعاه أبواه اللذان أودع الله فى كيانهما معنى المحبة والعاطفة والرعاية له، ولولا ذلك لما أطاقا أن يتحملا مسئوليته لحظة واحدة، لما يترتب على ذلك من جهد كبير.

إذًا، فالإحسان للوالدين هو العنوان الكبير للعلاقة بهما، والطاعة لهما ليست بالمعنى الذى يطاع فيه الله أو يطاع فيه الرسول أو يطاع فيه أولوا الأمر؛ لأن الله لم يجعل خط الطاعة للوالدين إلا من خلال علاقة الطاعة بالإحسان، فإذا كانت الطاعة فى دائرة الإحسان كل على الإنسان أن يطيعهما، أما إذا انطلقت الطاعة بخلاف أوامر الله ونواهيه فلا طاعة هنا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان:١٥].

﴿ووَصَّيْنَا الإنسَانَ بوَالدَيْه حُسْنًا وإن جَاهَدَاكَ لتشْرِكَ بي مَا لَيْسَ لَكَ به علْمٌ فَلا تُطعْهُمَا إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت:٨].

أما إذا لم يكن منهما أمر بمعصية وجب على الإنسان أن يرحمهما ويحسن إليهما يرحمهما فى الكلمة فى الممارسة، فى النظرة، فلقد رحماه فرعياه فى طفولته، وعليه أن يرعاهما عندما ينطلق فى حياته ويصبح شابًا، لأنهما حينئذ يحتاجان إليه ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠] أما عن النموذج الذى نتعرف على تفسيره فهو قوله الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا﴾ حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله، فإنه لا ينبغى أن يعبد غيره...

وقوله ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يقول: وأمركم بالوالدين إحسانا أن تحسنوا إليهما وتبروهما. ومعنى الكلام: وأمركم أن تحسنوا إلى الوالدين[17].

قال ابن كثير موضحا الأمر فى هذه الآية:

يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لا شريك له، فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر،... ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين، فقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

أى وأمر بالوالدين إحسانًا، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ أى لا تسمعهما قولاً سيئًا حتى ولا التأفيف الذى هو أدنى مراتب القول السيء ﴿وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ أى ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح.. ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح، أمره بالقول والفعل الحسن، فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ أى لينًا طيبًا حسنًا بتأدب وتوقير وتعظيم، ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أى تواضع لهما بفعلك ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ أى فى كبرهما وعند وفاتهما[١٨].

الطاعة فى ميدان الجهاد:

معنى الطاعة فى ميدان الجهاد: أن يأتم الجندى المجاهد فى سبيل الله لنصرة الله وامته ووطنه - أن يأتمر - بأمر قائده، وينفذ كل ما يطلبه منه القائد دون تردد أو تباطؤ أو تلكؤ، أو اجتهاد بعد رأى القائد، ذلك لأن القائد يرى ويعرف من أسرار المعركة زمانًا ومكانًا وعدواً ما لا يعرفه الجندى، ومن هنا يجب تطاعه لقائده، إذ كان الأمر كذلك فلابد لمربى الجنود أن يربوهم على طاعة القادة، خاصة حينما يشدد وطيس المعركة، ولا مانع من استشارة لجنوده، وإبداء الجنود آراءهم حينما تطلب منهم، لكن إذ أمروا فليأتمروا، وليظهروا غاية عظيمتهم لقائدهم، ليشدوا من أزره وليقووا ساعدة، ولنا فى صاحبة رسول الله ﷺ القدوة الحسنة فعندما استشار رسول الله أصحابه يوم بدر قام المقداد بن الأسود رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغماد (اسم مكان فى أقصى

الجزيرة العربية) لجالدنا (لحاربنا) معك حتى تبلغه. وقام سعد بن معاذ وقال: امضى لما أراك الله فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق، لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك.

ولا شك أن طاعة القيادة المؤمنة من طاعة الله ورسوله؛ قال النبى ﷺ: **«من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى، ومن عصى أميرى فقد عصانى»**(١٩) فعلى الجندى المسلم أن يطيع توجيهات قائده الذى يقوده نحو النصر. وهذه الطاعة للقائد المسلم لا تكون إلا فى المعروف، أما إذا أمرهم القائد أو الأمير بمعصية فلا طاعة له عليهم لقول رسول الله: **«إنما الطاعة فى المعروف»**(٢٠).

وعلى الرغم من أنه لا توجد فى القرآن الكريم آيات تدل على هذا اللون من الطاعة، إلا أنه وجدت آيات تبين أن الهزيمة تنتج عن العصيان وعدم الطاعة، وأبرز هذه الآيات التى تصور عصيان بعض الصحابة لرأى الرسول ﷺ يوم غزوة أحد، يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران:١٥٢].

لما رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة من أحد، وقد أصابهم ما أصابهم، قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ** ﴾ بالنصر والظفر، وذلك

أن النصر والظفر كان للمسلمين في الابتداء، ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ جعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين، وهو جبل، عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبدالله بن جبير، وقال لهم: احموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وأقبل المشركون فأخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل، والمسلمون يضربونهم بالسيوف، حتى ولوا هاربين فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ أى تقتلونهم قتلاً ذريعًا بقضاء الله.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ أى: إن جبنتم... ومعنى التنازع الاختلاف.

وكان اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون، فقال بعضهم: انهزم القوم فما مقامنا؟ وأقبلوا على الغنيمة، وقال بعضهم: لا تجاوزوا أمر رسول الله ﷺ، وثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة.

فلما رأي خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبدالله بن جبير وأصحابه، وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دبوراً بعد ما كانت صبًا، وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضًا ما يشعرون من الدهش، ونادى إبليس أن محمداً قد قتل، وكان ذلك سبب الهزيمة للمسلمين.

قوله تعالى: ﴿وَعَصَيْتُم﴾ يعنى: الرسول ﷺ وخالفتم أمره، ﴿مِّن

بَعْدِ مَا أَرَاكُم﴾ لله ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾ يا معشر المسلمين من الظفر والغنيمة، ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾، يعنى: الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾، يعنى: الذين ثبتوا مع عبدالله بن جبير حتى قتلوا، قال عبدالله بن مسعود: ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبى ﷺ يريد الدنيا حتى كان يوم أحد، ونزلت هذه الآية ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾، أى: ردكم عنهم بالهزيمة، ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾، ليمتحنكم، وقيل: لينزل البلاء عليكم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾، فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة،، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢١).

•••

هوامش المبحث الثانى

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبوا الفداء إسماعيل بن كثير القرشى ت٧٧٤هـ - عالم الكتب - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ١ / ٥١٨.

(٢) أخرجه الترمذى كتاب النذور والإيمان باب ما جاء عن رسول الله ﷺ أن لانذر فى معصية، وأحمد بن حنبل كتاب من مسند على بن أبى طالب باب من مسند على بن أبى طالب.

(٣) فتح القدير: ١ / ٤٨١.

(٤) التيسير فى أحاديث التفسير ١ / ٣٤٧ للشيخ محمد المكى الناصرى، ط / دار الغرب الإسلامى - بيروت، ط١ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٥) تفسير الطبرى: ٥ / ١٠٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٢٥٩.

(٧) انظر: الكشاف فى حقائق التنزيل وعيون الأقاويل - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ت٥٣٨هـ دار الفكر، ط١، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، ١ / ٥٣٥.

(٨) فى ظلال القرآن مج٢ ص٦٩١.

(٩) وهو سماحة مفتى عام المملكة العربية السعودية السابق الشيخ عبد العزيز بن باز.

(١٠) سبق تخريجه فى الصفحة قبل السابقة.

(١١) مجموع فتاوى ومقالات لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز المفتى السابق بالمملكة العربية السعودية الجزء السابع ط / دار ابن خزيمة للطبع والنشر بالرياض والحديث أخرجه البخارى كتاب: الأحكام باب

كيف يبايع الإمام الناس، ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية، والنسائى كتاب: البيعة باب البيعة على ألا ننازع الأمر أهله.

(١٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم - محمد السيد طنطاوى، مطبعة السعادة، ط٢، ١٤٠٣هـ.

(١٣) الأحاديث الواردة فى العدل والشورى والطاعة: من خلال كتب السنة جمع وتصنيف وتخريج ودراسة - بحث مقدم لنيل درجة العالمية العليا «الدكتوراه» إعداد الباحث سليمان صالح محمد الشجراوى - إشراف الدكتور: الشريف المدثر القضبى سنة ١٤٢٣ - ٢٠٠٢م بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بجمهورية السودان.

(١٤) البخارى كتاب: المغازى باب: كتاب النبى ﷺ إلى كسرى وقيصر، والنسائى كتاب: آداب القضاة. باب النهى عن استعمال النساء فى الحكم، وأحمد كتاب: حديث أبى بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة. باب حديث أبى بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة.

(١٥) البخارى كتاب: بدء الخلق. باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة والسماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، ومسلم: كتاب النكاح. باب: تحريم امتناعها من فراش زوجها، وأبو داود كتاب: النكاح. باب: فى حق الزوج على المرأة.

(١٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٤٩٨.

(١٧) جامع البيان لابن جرير الطبرى ١٥ / ٦٥، ٦٦.

(١٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٣٥.

(١٩) البخارى كتاب: الجهاد والسير باب: يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، وصحيح مسلم كتاب: الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية، وسنن ابن ماجة كتاب: الجهاد باب: طاعة الإمام.

(٢٠) صحيح البخارى كتاب الأحكام: باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، صحيح مسلم كتاب: الإمارة باب: وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية، وسنن أبى داود كتاب: الجهاد باب فى الطاعة.

(٢١) معالم التنزيل للبغوى ١ / ٣٦١.

●●●

المبحث الثالث

الطاعة غير المشروعية

ونقصد هنا بالطاعة غير المشروعة: الطاعة المحرمة أى المنهى عنها من قبل الله - عز وجل - فى كتابه الكريم.

وقد احتل هذا اللون من الطاعة فى القرآن الكريم مساحة عظيمة، حيث ورد بلفظه فى القرآن الكريم فى سبعة وعشرين موضعا، وهذا إن دل فإنما يدل على عظيم اهتمام القرآن بهذا اللون من شدة خطورته.

وقد تنوعت الأساليب التى وردت عليها الطاعة غير المشروعة؛ وذلك حتى يحصن الله عباده المؤمنين تحصينا تاما، ويعرفهم بكل الطوائف التى قد يخدعون بها، أو ينساقون وراءها فيطيعونها، كما يعرفهم بأساليب هؤلاء فى الحياة فينأون عنها.

ومن ألوان الطاعات غير المشروعة التى وردت فى القرآن الكريم:

طاعة الكفار والمشركين والمنافقين.

طاعة العصاة والمسرفين.

طاعة النفس والهوى والشيطان.

وفيما يلى نتناول - إن شاء الله - كل لون من هذه الألوان بالتحليل والتوضيح.

طاعة الكفار والمشركين والمنافقين:

تناول القرآن الكريم طاعة الكفار والمشركين والمنافقين من عدة اتجاهات.

الاتجاه الأول: نهى النبى ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم - وتحذيرهم من طاعة الكفار والمشركين والمنافقين.

لكن سؤالاً يطرح نفسه هنا ألا وهو:

هل كان النبى ﷺ يطيع هؤلاء، أو يتبادر إلى ذهنه طاعتهم حتى ينهاه القرآن الكريم عن ذلك؟

أليس الرسول ﷺ معصوما من الوقوع فى الخطأ؟ أليس الله قد اصطفاه وطهره من طاعة هؤلاء؟

وهل الصحابة الكرام كانوا يطيعونهم، أو يبدر منهم طاعة هؤلاء القوم؟

والجواب عن هذه الأسئلة - باختصار - أن النبى ﷺ لم يكن يطع هؤلاء القوم، فهو حقا معصوم من الخطأ، وطهره الله واصطفاه والمدقق بنظره فى الآيات التى تنهى النبى ﷺ عن طاعة الكفار والمشركين والمنافقين يتأمل اقتضاء السياق لذلك النهى، ففى آية سورة الفرقان ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] تحث الآية رسول الله ﷺ على الصبر على هؤلاء القوم فيما كانوا يرمون القرآن به من أباطيل واتهامات، فكان النهى للرسول عن طاعتهم وعدم

الانسياق وراء اتهاماتهم وعدم التعصب الشديد للدفاع عن القرآن، لكن يثبت ويجاهدهم بالقرآن نفسه.

وأما آية الأحزاب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [الأحزاب: ١].

نرى أن النهى جاء مقدما على الأمر باتباع وحى الله ـ عز وجل ـ وهذا ـ كما يقول صاحب الظلال ـ يوحى بأن ضغط الكافرين والمنافقين فى المدينة وما حولها كان فى ذلك الوقت عنيفا، فاقتضى هذا النهي عن اتباع آرائهم وتوجيهاتهم(١) ويقاس على ذلك ما ورد فى بقية آيات هذا الجانب.

أو كما قال الإمام الشوكانى عندما فسر قول الله ـ عز وجل ـ ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

ولا تطرد الذين يدعون ربهم «أى فإن فعلت ذلك كنت من الظالمين، وحاشاه عن وقوع ذلك، وإنما هو من باب التعريض لئلا يفعل ذلك غيره ﷺ من أهل الإسلام كقوله تعالى: ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾(٢).

هذا ولا نستبعد أن يكون النهى الموجه إلى الرسول ﷺ وإلى أصحابه من باب التذكير، فهو لحضرة الرسول ﷺ تعريضا ليكون لنا وللصحابة قدوة نقتدى به ونثبت على هذا النهي، وللصحابة ـ رضوان

الله عليهم - من باب التذكير الحقيقى، كما هو الحال فى النداء الذى يأمر بالتقوى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله...﴾.

هذا وسوف يتضح الأمر أكثر من ذلك عند التعرض لتفسير آيات هذا الجانب فى الصفحات القادمة - إن شاء الله.

والاتجاه الثانى الذى سلكه القرآن الكريم فى الحديث عن طاعة الكفار والمشركين والمنافقين هو: طاعة الكفار لأمرائهم وذمهم على هذه الطاعة التى تودى بهم إلى الهلاك، ثم الحديث عن ندم هؤلاء الاتباع على طاعتهم لأمرائهم.

والاتجاه الثالث الذى سلكه القرآن حديثه عن طاعة المنافقين لأمثالهم.

أما الاتجاه الرابع فهو بيانه أن طاعتهم معروفة وغير مقبولة وأن شفعيهم لا يطاع فى الآخرة.

والاتجاه الخامس هو توجيهه الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ.

وفى الصفحات القادمة - إن شاء الله - نتناول نماذج لبعض الآيات التى تبرز كل اتجاه من هذه الاتجاهات، كما نشير إلى الآيات الأخرى التى تندرج تحت كل اتجاه.

فالاتجاه الأول وهو نهى النبى ﷺ وأصحابه وتحذيرهم من طاعة الكفار والمشركين والمنافقين، وهو الذى تناولته أكثر آيات هذا الجانب

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ [آل عمران: ١٤٩]، ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما﴾ [الأحزاب: ١] ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ أى دم على ذلك وازدد منه ﴿ولا تطع الكافرين﴾ من أهل مكة ومن هو علي مثل كفرهم «والمنافقين» أى الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر(٣).. فتقوى الله والشعور برقابته واستشعار جلاله هى القاعدة الأولى، وهى الحارس القائم فى أعماق الضمير على التشريع والتنفيذ. وهى التى يناط بها كل تكليف فى الإسلام وكل توجيه.

وكان التوجيه الثانى هو النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع توجيههم أو اقتراحهم، والاستماع إلى رأيهم أو تحريضهم ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾.. وتقديم هذا النهى على الأمر باتباع وحى الله يوحى بأن ضغط الكافرين والمنافقين فى المدينة وما حولها كان فى ذلك الوقت عنيفا فاقتضى هذا النهى عن اتباع آرائهم وتوجيهاتهم، والخضوع لدفعهم وضغطهم. ثم يبقى ذلك النهي قائما فى كل بيئة وكل زمان، يحذر المؤمنين أن يتبعوا آراء الكافرين والمنافقين إطلاقا، وفى أمر العقيدة وأمر التشريع وأمر التنظيم الاجتماعى بصفة خاصة. ليبقى منهجهم خالصا لله، غير مشوب بتوجيهه من سواه، ولا ينخدع أحد بما يكون عند الكافرين والمنافقين من ظاهرة العلم والتجربة والخبرة - كما يوسع بعض المسلمين لأنفسهم فى فترات الضغط والانحراف - فإن الله هو العليم الحكيم، وهو الذى اختار للمؤمنين منهجهم وفق

علمه وحكمته: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وما عند البشر إلا قشور، وإلا قليل! (٤).

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

قال الشيخ سيد قطب: وإن في هذا القرآن من القوة والسلطان، والتأثير العميق، والجاذبية التي لا تقاوم، ما كان يهز قلوبهم هزا، ويزلزل أرواحهم زلزالاً شديداً فيغالبون أثره بكل وسيلة، فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً، ولقد كان كبراء قريش يقولون للمهاجرين: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن﴾... وكانت هذه المقالة تدل على الذعر الذي تضطرب به نفوسهم ونفوس أتباعهم من تأثير هذا القرآن؛ وهم يرون هؤلاء الأتباع كأنما يسحرون بين عيشة وضحاها من تأثير الآية والآيتين، والسورة والسورتين، يتلوهما محمد بن عبدالله ﷺ فتنقاد إليه النفوس وتهوى إليه الأفئدة.

ولم يقل رؤساء قريش لأتباعهم وأشباعهم هذه المقالة، وهم في نجوة من تأثير هذا القرآن. فلولا أنهم أحسوا في أعماقهم هزة روعتهم ما أمروا هذا الأمر، وما أشاعوا في قومهم بهذا التحذير، الذي هو أدل من كل قول على عمق التأثير!...

وإن في القرآن الكريم من الحق الفطري البسيط، لما يصل القلب مباشرة بالنبع الأصيل، فيصعب أن يقف لهذا النبع الفوار، وأن يصدعته تدفق التيار، وإن فيه من مشاهد القيامة، ومن القصص، ومن مشاهد الكون الناطقة، ومن مصارع الغابرين، ومن قوة التشخيص والتمثيل، لما يهز القلوب هزا لا تملك معه قراراً.

وإن السورة الواحدة لتهز الكيان الإنسانى فى بعض الأحيان، وتأخذ عن النفس أقطارها ما لا يأخذه جيش ذو عدة وعتاد!!.

فلا عجب مع ذلك أن يأمر الله نبيه أن لا يطيع الكافرين، وألا يتزحزح عن دعوته، وأن يجاهدهم بهذا القرآن.

فإنما يجاهدهم بقوة لا يقف لها كيان البشر، ولا يثبت لها جدال أو محال(٥).

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

قال الشيخ محمد عبده: الخطاب لمن سمع قول أولئك القائلين من المنافقين ارجعوا إلى إخوانكم ودينكم وهو أخص مما قبله والمختار على الطريقة التى جرينا عليها فى تفسير الآيات السابقة أن الخطاب فيها عام وجه إلى كل من شهد أحد لتكافلهم، وكل يعتبر بها بحسب حاله. ويدل عليه الآيات بعدها فإنها من تتمة الخطاب وفيها تفصيل لأعمالهم ونياتهم وعناية الله بهم مع تقسيمهم إلى مريد للدنيا ومريد للآخرة.

معناه إن تطيعوا الذين جحدوا نبوة محمد ولم يقبلوا دعوته إلى التوحيد والخير.

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ إلى ما كنتم عليه من الكفر ابتداءً أو استدراجا(٦).

وأما عن الاتجاه الثانى وهو طاعة الكفار لأمرائهم ـ الذين هم على شاكلتهم فى الكفر والشرك ـ وذمهم على هذه الطاعة، ثم ندمهم بعد ذلك عليها لما يعانونه من الهلاك الشديد.

فتقل الآيات التى تتناول هذا الجانب عن الجانب الذى سبقه، وسنورد نموذجين نستوضحه بهما، الأول لطاعة الكفار لأمرائهم وذمهم عليها.

وهو قول الله ـ عز وجل ـ **﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾** [الزخرف: ٥٤]، **﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾** أي استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له **﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾**(٧) **﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾** أى فاستخف بعقول قومه واستجهلهم لخفة أحلامهم. فأطاعوه فيما دعاهم إليه من الضلالة **﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾** أى إنما أجابوهم لفسقهم وخروجهم عن طاعة الله(٨) والنموذج الثانى لطاعة الكفار لأمرائهم، يظهر فيه ندمهم على هذه الطاعة حينما يعاينون ما يحيق بهم من العذاب وهو قول الله عز وجل **﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴾** [الأحزاب: ٦٦، ٦٧].

وقال الكافرون يوم القيامة فى جهنم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا فى الضلالة وكبراءنا فى الشرك **﴿ فأضلونا السبيلا ﴾** يقول: فأزالونا عن

محجة الحق، وطريق الهدى، والإيمان بك، والإقرار بوحدانيتك، وإخلاص طاعتك فى الدنيا(٩).

أما الاتجاه الثالث وهو حديث القرآن عن طاعة المنافقين لأمثالهم من المنافقين والمشركين وقد تناولته آيات أربع تقريبا.

ومن نماذج هذا الاتجاه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر:١١] يريد الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر أو الصداقة والموالاة. ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من دياركم. ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ فى قتالكم أو خذلانكم. ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ أى من رسول الله ﷺ والمؤمنين. ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ لنعاوننكم. ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لعلمه بأنهم لا يفعلون ذلك(١٠) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٦].

أى ذلك الإضلال بسبب أنهم قالوا لليهود الذين كرهوا القرآن الذى نزل الله حسداً وبغيا ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أى سنطيعكم فى بعض ما تأمروننا به كالقعود عن الجهاد، وتثبيط المسلمين عنه وغير ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ أى وهو - جل وعلا - يعلم خفاياهم، وما يبطنونه من الكيد والدس والتآمر على الإسلام والمسلمين، قال المفسرون: قال المنافقون لليهود ذلك سرا فأظهره الله تعالى وفضحهم(١١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران:١٦٨].

والاتجاه الرابع الذى سلكه القرآن فى الحديث عن طاعة الكفار والمشركين والمنافقين؛ بيانه أن طاعتهم معروفة وغير مقبولة وأن شفيعهم لا يطاع فى الآخرة، ويبرز القرآن هذا الاتجاه باللفظ فى ست آيات.

ونأخذ لهذا الاتجاه نموذجين، الأول نستوضح به عدم قبول طاعتهم، والثانى نستوضح به عدم استجابة شفيعهم فى الآخرة.

فالأول قول الله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لاَّ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [النور:٥٣].

يقول تعالى مخبراً عن أهل النفاق الذين كانوا يحلفون للرسول ﷺ: لئن أمرتهم بالخروج فى الغزو ليخرجن، قال الله تعالى: ﴿ قُل لاَّ تُقْسِمُوا ﴾ أى لا تحلفوا. وقوله ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ قيل معناه طاعتكم طاعة معروفة، أى قد علم طاعتكم إنما هى قول لا فعل معه، وكلما حلفتم كذبتم[١٢] ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء:٨١].

قال الشيخ سيد قطب: إن هذا الفريق من الناس إذا كان عند رسول الله ﷺ يسمع منه القرآن، وما فيه من التكاليف.. قالوا: «طاعة».. قالوها هكذا جامعة شاملة. طاعة مطلقة. لا اعتراض ولا استفهام ولا استيضاح ولا استثناء! ولكن ما إن يخرجوا من عند رسول الله ﷺ حتى تبيت طائفة منهم غير الذى تقول، وتروح فى ما بينها تتآمر على عدم التفنيذ؛ وعلى اتخاذ خطة للتخلص من التكليف. أم لعل النص يصور حال الجماعة المسلمة كلها؛ ويستثنى منها هذه الطائفة ذات الشأن الخاص، والتصرف الخاص.. ويكون المعنى: أن المسلمين يقولون: طاعة. بجملتهم. ولكن طائفة منهم ـ وهى هذه الطائفة المنافقة ـ إذا خرجت بيت أفرادها غير ما قالوا.. وهى صورة ترسم تلك الخلخلة بعينها فى الصف المسلم، فإن هؤلاء مندسون فيه على كل حال. و تصرفهم على هذا النحو يؤذى الصف ويخلخله، والجماعة المسلمة تخوض المعركة فى كل ميادينها وبكل قوتها!.

والله ـ سبحانه ـ يطمئن النبى ﷺ والمخلصين فى الصف يطمئنهم بأن عينه على هذه الطائفة التى تبيت وتمكر، وشعور المسلمين بأن عين الله على المبيتين الماكرين يثبت قلوبهم(١٣).

والثانى قول الله ـ عز وجل ـ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أى ليس للظالمين صديق ينفعهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ أى ولا شفيع يشفع لهم لينقذهم من شدة العذاب(١٤).

أما الاتجاه الخامس والأخير في ذلك، والذى يبرزه القرآن فى توجيهه الأمر للمنافقين بطاعة الله وطاعة الرسول.

ونموذجنا الذى نستوضح منه هذا الاتجاه قول الله ـ عز وجل ـ ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [النور: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ بإخلاص الطاعة وترك النفاق ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا** ﴾ أى فإن تتولوا، فحذف إحدى التاءين. ودل على هذا أن بعده ﴿ **وَعَلَيْكُم** ﴾ ولم يقل وعليهم. ﴿ **فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ** ﴾ أى من تبليغ الرسالة. ﴿ **وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ** ﴾ أى من الطاعة له، عن ابن عباس وغيره. ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ جعل الاهتداء مقرونًا بطاعته. ﴿ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ** ﴾ أى التبليغ ﴿ **الْمُبِينُ** ﴾(١٥).

طاعة العصاة والمسرفين:

اللون الثانى من ألوان الطاعة غير المشروعة طاعة العصاة ومن يأمرون بالمعصية، وطاعة المسرفين.

وهذا اللون إما أن يكون موجهًا فى الآيات إلى النبى ﷺ بتحذيره من عدم طاعة العصاة والمسرفين، كما فى قول الله تعالى: ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ** ﴾ [الأنعام: ١١٦] ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾، عن دين الله، **وذلك أن أكثر** أهل الأرض كانوا على

الضلالة، وقيل: أراد أنهم جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين فى أكل الميتة، وقالوا: أتأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما قتله الله - عز وجل ؟ فقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ﴾ أى: وإن تطعهم فى أكل الميتة يضلوك عن سبيل الله، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ يريد أن دينهم الذى هم عليه ظن [وهوى] لم يأخذوه عن بصيرة، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون[16] ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد تحكى بعض الآيات هذا اللون على لسان نبى من الأنبياء ينهى قومه الذين يدعوهم إلى التوحيد عن إطاعة المسرفين كما فى قول الله - عز وجل - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٠-١٥١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ أى أقبلوا على ما يعود نفعه عليكم فى الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذى خلقكم ورزقكم لتعبدوه وتوحدوه وتسبحوه بكرة وأصيلاً ﴿وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾ يعنى رؤساءهم وكبراءهم، الدعاة لهم إلى الشرك والكفر ومخالفة الحق[17] وأحيانًا يأتى التحذير على لسان المكذبين بالرسل موجها لأمثالهم بعدم طاعة الرسول بحجة أنه بشر مثلهم، كما فى قول الله - سبحانه وتعالى - ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٤].

طاعة النفس والهوى والشيطان:

لم يتناول القرآن الكريم طاعة النفس والهوى والشيطان باللفظ إلا فى آية واحدة، وهى التى تحكى طاعة نفس أحد ابنى آدم فى قتل أخيه، وإن كانت هناك أكثر من آية تناولت هذا اللون من الطاعة بالمعنى(١٨).

وورود هذا اللون فى القرآن الكريم باللفظ فى موضع واحد، ربما يكون له إشارة لطيفة، ألا وهى أنه على الرغم من وحدة اللفظ لهذا اللون فى القرآن الكريم، إلا أنه يقوم مقام الكثير، ومن يتبع نفسه أو هواه ولو مرة واحدة فسيندم أشد الندم، وقد توررده هذه المرة أشد المهالك، كما تشير الآية التى فى نفس السورة ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢].

فها هو ابن آدم أطاع نفسه مرة ولكن كما يقولون - كانت هى المرة - جعلته هو ومن يرتكب مثل هذا الجرم كأنما قتل الناس جميعا، على الرغم من أنه لم يقتل إلا نفسا واحدة، وكما فى القاعدة الفقهية (الغنم بالغرم) فكذلك ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

وهذا من فضل الله علي عباده ترغيبًا لهم فى الطاعة بمضاعفة ثوابها، وتحذيرًا لهم من المعصية، ولم تضاعف عقوبة مثل هذه العقوبة، وذلك لشدة حرمة دم ابن آدم ومكانته عند الله - عز وجل - وإيجاب المحافظة عليه.

أما عن تفسير الآية ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠] فيقول الشوكانى:

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ ﴾ أى سهلت نفسه عليه الأمر وشجعته وصورت له أن قتل أخيه طوع يده سهل عليه يقال تطوع الشيء: أى سهل وانقاد وطوعه فلان له: أى سلهة. قال الهروى:؟ طوعت وطاوعت واحد، يقال طاع له كذا: إذا أتاه طوعًا، وفى ذكر تطويع نفسه له بعدما تقدم من قول قابيل: «لأقتلنك» وقول هابيل «لتقتلنى» دليل على أن التطويع لم يكن قد حصل له عند تلك المقاولة(١٩).

وقال الطبرى:

يعنى جل ثناؤه بقول: ﴿ فَطَوَّعَتْ ﴾ فآتته وساعدته عليه.

وهو فعلت من الطوع، من قول القائل: طاعنى هذا الأمر، إذا انقاد له.

قد اختلف أهل التأويل فى تأويله.

فقال بعضهم، معناه: فشجعت له نفسه قتل أخيه.

وقال آخرون: معنى ذلك: زينت له.

﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾، فإن تأويله: فأصبح القاتل أخاه من ابنى آدم، من حزب الخاسرين، وهم الذين باعوا آخرتهم بدنياهم، بإيثارهم إياها عليها ـ فوكسوا فى بيعهم، وغبنوا فيه، وخابوا فى صفقتهم(٢٠).

هوامش المبحث الثالث

(١) فى ظلال القرآن مج٥ ص٢٨٢٢ .

(٢) فتح القدير ٢ / ١٧٢ .

(٣) فتح القدير للشوكانى: ٤ / ٢٦٠ .

(٤) الظلال مج٥ ص٢٨٢٢ .

(٥) فى ظلال القرآن مج٥ ص٢٥٧١ .

(٦) تفسير المنار: ١٧٥، ١٧٦ .

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

(٨) صفوة التفاسير: ٣ / ١٦١ .

(٩) جامع البيان لابن جرير الطبرى.

(١٠) تفسير البيضاوى: ١ / ٣٢١ .

(١١) صفوة التفاسير: ٣ / ٢١٢ .

(١٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣ / ٤٠٠ .

(١٣) فى ظلال القرآن مج٢ ص٧٢٠ .

(١٤) صفوة التفاسير: ٣ / ٩٧ للشيخ محمد على الصابونى الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ط / دار القرآن الكريم / بيروت ط / خامسة: ١٤٠٢ / ١٩٨١م.

(١٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى: ١٢ / ٢٩٦ .

(١٦) معالم التنزيل للبغوى: ٢ / ١٢٥ .

(١٧) ابن كثير: ٣ / ٤٥٧ .

(١٨) انظر عجز الآية : ٢٨ من سورة الكهف .

(١٩) فتح القدير للشوكاني : ٢ / ٣١ .

(٢٠) جامع البيان : ٥ / ٢٤٥ .

●●●

المبحث الرابع

أثر الطاعة فى الإسلام

لبيان أثر الطاعة فى الإسلام ينبغى أن ننظر فى المجالات التى وردت عليها الطاعة فى القرآن، ثم نتأمل ما الذى تحدثه الطاعة على الأفراد من خلال هذه المجالات وتمسكهم بها، وما الذى تحدثه على الأمة الإسلامية من خلال المجالات نفسها.

أثر الطاعة على الأفراد:

أولاً: فى طاعة الله عز وجل.

الكثير من الناس يدَّعون محبَّة الله ورسوله؛ والبيِّنة التى تشهد بصدق دعوى محبتة هى طاعته لله ورسوله، وربما يكون نقيض ذلك صحيحا والمعصية تشهد بنقيض ذلك، وعلى العاقل أن يختار لنفسه فريقا من هذين الفريقين.

فلو أن الأفراد أطاعوا ربهم - سبحانه وتعالى - حق الطاعة فأقاموا على أوامره حق الإقامة، والتزاموا بها حق الالتزام وانزجروا عن نواهيه زجراً تاما، وراقب كل فرد ربه باطنا قبل أن يراقبه ظاهرا، أقول لو فعل كل فرد ذلك فعبد الله كأنه يراه، وعلم قبل أن يقدم على أى فعل أن الله مطلع عليه وعمل بهذا العلم، لو أدب كل فرد نفسه ورباها على هذه المعنى السامية؛ لتحقق له تمام العبودية لربه - عز وجل - وصار حينئذ لو أقسم على الله لأبره، لو التزم الفرد بهذا كله لتحقق له كمال الخضوع لخالقه وبارئه، ويصير حينذاك - دائما - ذليلا منكسرا بين يدى الله -

سبحانه وتعالى - فيقوم لله، ويجلس لله، ويتحرك لله ويسكن لله، ويرضى لله ويسخط لسخط الله، فلا تراه إلا عبد أوابا شاكراً ذاكرا، رحيما بإخوانه المؤمنين، غليظا على أعدائه الكافرين ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

كذلك تجده يتحقق لديه الامتثال الكامل لأوامر الله - عز وجل - فلا يقوم بعمل إلا وينظر مدى موافقة هذا العمل لشرع الله سبحانه ومدى مخالفته للشرع يتلمس موقع هذا العمل من رضا الله أو سخطه، فهو دائماً يستفتي قلبه الأواب الخاشع العامر بالطاعة.

كذلك من أثر الطاعة على الأفراد أن تحقق فيهم السلام والأمان فالطاعة ما هي إلا استسلام النفس لما يريده بارئها فلو أنها دائما استسلمت لأمر الله - عز وجل - لعرفت معنى السلم والأمن والطمأنينة وسلمت من حولها من الشرور والأحقاد، لو أنها استسلمت لأمر الله - عز وجل - لعرفت معنى السلم والأمن والطمأنينة وسلمت من حولها من الشرور والأحقاد، لو أنها استسلمت لأمر الله لاستسلمت لقضاء الله وقدره، ورضيت بهما دائماً فما تعكر لها صفو، وما سخط لها قلب وما تعب لها فكر ولله در القائل: لا كرب وأنت رب.

ثانيا: في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

طاعة الرسول الكريم ﷺ واجبة، فإذا قاموا بها على أكمل وجه، واتبعوه بصدق أحبهم الله وأنعم علهيم بالمغفرة.

وطاعة الرسول ﷺ تؤثر في الأفراد تأثيراً شديداً فهي مكملة لطاعة

الله ـ عز وجل ـ ومتممة لها، فطاعة الرسول ﷺ من كمال الطاعة الإلهية، لأن سنة الرسول الكريم مبينة لما أجمل فى القرآن، ومخصصة لما جاء فيه عاما، فهى بكل ألوانها وأساليبها وحى من الله سبحانه، فهى وحى بالمعنى دون اللفظ، فطاعة الرسول من طاعة الله ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ومن لم يستسلم لما جاء به الرسول ﷺ ويطيعه حق الطاعة فليس بمؤمن ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

والطاعة لله والرسول من أبرز معانى وتجليلات الإيمان فقد يطيع الإنسان أمر مولاه بما يخالف هواه ـ أى هوى هذا الإنسان ـ ولكن فى بعض الأمور كالإنفاق فى سبيل الله ـ مثلاً ـ، أو الجهاد بالنفس والمال فتراه يتقهقر، وهذه طاعة غير مقبولة لأنها ظاهرية فقط، أو لا تكلف إلا القليل.

إن الطاعة المفروضة تتمثل فى أن يقدم الإنسان على تنفيذ أى أمر فى أى وقت، حتى وإن عاش إلى آخر حياته دون أن يؤمر من قبل قيادته بأمر، لأن انتظار الأمر والاستعداد له يعتبر من أهم الأعمال فى الشريعة المقدسة بالنسبة إلى الأمة المرحومة، فالذى ينتظر الأمر ـ كالجهاد مثلاً ـ وينتظر أن ترتفع الراية بيد صاحبها الحقيقى فإنه يكون قد حدث نفسه بالجهاد والشهادة؛ أى أن هذا المسلم مستعد فى أية لحظة لأن يحمل سلاحه، ويدخل ساحة الجهاد، ويستشهد بين يدى إمام زمانه، وهذا هو معنى الانتظار الذى هو أكثر الأعمال ثوابا عند

الله ـ عز وجل ـ لأن الإنسان المستعد يكون في أعلى درجات الرحمة الإلهية.

وفي الحقيقة ليس لطاعة الله ورسوله أثر واحد، إنما هي آثار:

طاعة الله ورسوله طريق الفوز الكبير ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور:٥٢] واقرأ [الأحزاب:٧١].

المطيع لله ورسوله يستحق بإذن الله ورحمته دخول الجنة [الفتح:١٧، النساء:١٣].

المطيع لله ورسوله، يتبوأ منزلته في علّيين، مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، في ظلال عرش الرحمن، وحَسُنَ أولئك رفيقًا. [النساء:٦٩].

المطيع لله ورسوله يرشد إلى طريق الهداية [النور:٥٤].

المطيع لله ورسوله اختار طريقا للحصول على الأجر الحسن [الفتح:١٦].

وطاعة الله ورسوله سبب لجلب رحمة الله [التوبة:٧١]، [آل عمران:١٣٢].

وطاعة الله ورسوله سبب لغفران الذنوب وإطالة العمر [نوح:٣,٤].

ثالثا: أثر طاعة أولي الأمر على الأفراد:

تؤكدُ آيات الطاعة حتمية إطاعة المؤمنين لله عز وجل، ولرسوله

الكريم ولأولى الأمر منهم، ووجوب ردُّ الخلافات التى تنشأ بينهم إلى الله ورسوله، لحلّها فى ضوء كتاب الله وسنة رسول الله .

فإذا التزم الأفراد بطاعة أولى الأمر، فهم بذلك يطيعون الله ـ عز وجل ـ ما دام أولو الأمر هؤلاء يقيمون شرع الله ويأمرون الرعية بطاعة الله، إذن فطاعتهم تنفيذ لأوامر الله سبحانه كما أن طاعتهم لها أثر فى توحيد الأمة والعمل على رفعتها وقوة شوكتها أمام عدوها، وفى توحيد الأمة من الأهداف الكثير والكثير مما لا نستطيع حصره فى كلمات أو صفحات ويكفينا أن نعرف أنها لا تتم عبادتها إلا بالوحدة، وفى إقامة الفرائض كلها توحيد، وفى أدائها توحيد .

كما طاعة أولى الأمر لها فى استقامة المجتمع، واستجلاب الأمن له، تماما كما أن الخروج على ولى الأمر يحدث الفتن والاضطرابات ويثير الفوضى والذعر فى المجتمع.

فطاعة أولى الأمر عون لهم على إقامة العدل ونشر الأمن والأمان، وبالتالى تميز الشرفاء من غيرهم كذلك طاعة أولى الأمر لها أثر فى إقامة شرع الله فى أرضه فهى تعينهم على تطبيق الحدود، وإقامة الشرائع.

رابعا: أثر طاعة الوالدين على الأفراد:

فى طاعة الوالدين ـ ماداموا لا يأمرون بمعصية الله ـ امتثال لأمر الله ببرهما والإحسان إليهما، ذلك لأن الله يأمر بالإحسان إليهما بعد الأمر بعبادته ـ سبحانه ـ مباشرة حيث يقول: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [النساء:٣٦][١].

كما أن طاعة الوالدين لون من حفظ الجميل، ورد بعضه لأصحابه وأى جميل؟ إن حقوق الوالدين أكثر من أن تحصى أو تعد كذلك فى طاعة الوالدين رد جانب من التحية لأهله إذن فالإحسان إلى الوالدين يربى لدي المسلم ملكة الإحساس والشعور بالإحساس من الآخرين، وإدراك هذا الإحساس من باب: من أسدى إليكم معروفا فكافئوه، والإحسان إلى الوالدين يولد الترابط والمحبة والوئام بين أفراد الأسرة الصغيرة وهو أساس لترابط المجتمع الكبير.

وبالجملة ففى الإحسان إلى الوالدين طاعة لله - عز وجل - وطلب رضاه سبحانه، وتطلع إلى النعيم المقيم فى الآخرة.

خامسًا: أثر طاعة الزوج على الزوجات:

فى طاعة الزوج اقتداء بسنة رسول الله ﷺ كما تبين لنا آنفا أن سنة رسول وحى، إذن فطاعة الزوج اتباع لوحى الله - عز وجل -.

فالطاعة هذه تربى فى الإنسان ملكة طاعة رسول الله ﷺ والاقتداء به قولاً وفعلاً.

كما أن طاعة الزوجة لزوجها يعودها الصبر على الطاعة واحتساب الآخرة عند الله، وجهاد المرأة حسن تبعلها لزوجها وطاعة الزوجة له أثر كبير فى استقامة الأسرة، وبالتالى فى استقامة المجتمع، فهذه الطاعة تساعد الزوج على طاعة الله، وعلى إقامة شرع الله فى الأسرة، وتمسكها بأصول دينه وفروعه، كما أنه ثبت عن كثير من نساء الصحابة - رضوان الله عليهم جميعًا - أن الواحدة منهم كانت توصى زوجها إذا

أراد الخروج للعمل يقولها: اتق الله فينا ولا تطعمنا إلا من حلال ولا تكسنا إلا من حلال، فإنا نصبر على جوع الدنيا ولا نصبر على حر نار فى الآخرة.

كما أن فى طاعة الزوجة لزوجها مثلاً صالحا للأبناء، ونموذجًا طيبا لتربيتهم، كذلك فى هذه الطاعة تعويد لها ولأبنائها حفظ الجميل، ورد التحية لأهلها.

سادسًا: أثر طاعة القائد فى ساحة الجهاد:

لطاعة القائد فى ساحة الجهاد آثار عظيمة على الأفراد وعلى الجماعة، فهذه الطاعة تنفيذ لشرع الله - عز وجل - وهى فى حقيقتها طاعة لرسول الله ﷺ واتباع لسنته الشريفة والقائد فى ساحة الجهاد يعد من أولى الأمر، والله أمر بطاعته وجعلها من طاعته سبحانه وطاعة رسوله.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما **«أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»** قال: (نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس ابن عبدى إذ بعثه النبى ﷺ فى سرية)[٢].

وطاعة أمير الجهاد لها أثر عظيم فى الوصول إلى نصر الله - عز وجل - لأنه فى طاعته توحيد للصف المسلم وإظهار لمهابته أمام جيش العدو، فطاعته امتثال لأمر الله وطلب لرضاه، فما الصبر على المشقة وتحمل الجهد فى الساحة لأجل الوصول إلى النصر إلا امتثال لما أمر به الله بغية التوصل إلى رضوانه سبحانه.

أثر الطاعة فى تقويم الأمة:

إذا أردنا أن نقوم الأمة فلا بد أن نقوم أنفسنا كأفراد أولاً لأنه الأمة ما هى إلا أفراد، فإذا سعى كل منا إلى تقويم نفسه واستشعر حمل هذه المسئولية على عاتقه، سيمتد الأثر بالطبع إلى من حوله، وقد أصاب عين الحقيقة من قال إن الأصلاح يبدأ من الفرد نفسه، ثم يأخذ بيد من هم بجواره الأقرب فالأقرب، لأن الإنسان حينما يعرض على ربه للحساب سيسأل عن نفسه أولاً ثم عمن يعولهم فتتسع الدائرة عليه، والتى مركزها هى النفس حتى تشمل الأمة بأسرها. وهنا ندرك قيمة حديث رسول الله ﷺ «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»[٣].

إذن فما قيل فى الطاعة على الأفراد لابد وأن تنسحب فتعود على الأمة لكن بصور أشمل وأعم، فالأفراد يكونون مجتمعا والمجتمعات تكون الأمة، فما يؤثر فى الأفراد إيجابا أو سلبا لابد وأنه فى يوم ما سيؤثر على الأمة ولا مانع من أن نوضح الأثر المباشر للطاعة فى تقويم الأمة من خلال المجالات التى وردت فيها الطاعة فى القرآن الكريم.

أولا: أثر طاعة الله ـ عز وجل ـ فى تقويم الأمة:

إذا كانت طاعة الفرد لله ـ عز وجل ـ تحقق له تمام العبودية لربه ـ سبحانه ـ وتصيره فى مكانة سامية من رضا ربه عليه بحيث لو أقسم على الله لأبره فالمعنى يتسع بالنسبة للأمة فلو نفذ كل أفرادها أو أوامر ربهم، واستقامة الأمة على شرع الله لصارت أمة قوية بقوة الله ـ عز

وجل ـ تهاب من الأمم الأخرى لو أنها نفذت شروط الوصول إلى الخيرية فأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر وآمنت بالله ـ بحيث يقوم بذلك كل فرد فيها بصدق؛ أقول لو نفذ كل فرد هذه الأوامر بإخلاص، وطبق شرع الله في نفسه لما تداعت عليها الأمم الأخرى.

كذلك تؤثر الطاعة فى الأمة فتحقق فيها السلام، فيعم فيها الأمن والأمان والطمأنينة والوئام.

ومن آثار طاعة الله فى الأمة ـ أيضا ـ لم شعثها، وجمع متفرقها، وتكثير سوادها، وإظهار قوتها، وتوحيد صفها ألا ترى كيف أن كل الفرائض يتحقق فيها الاجتماع وتوحيد الصف، وجمع الكلمة على الخير والصالح العام للأمة لو توصلت الأمة لذلك لما فكر أن يطمع فيها طامع، أو يعتدى عليها، أو ينال منها نائل، أية قوة تكون عليها حينئذ؟ وأية مهابة تكون لها؟

ثانيًا: أثر طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى تقويم الأمة:

لطاعة الرسول أثر كبير فى تقويم الأمة يستشعر أفرادها بقيمة هذه الطاعة، فسنة الرسول التى تطبقها الأمة هى التى أنشأت هذه الأمة من عدم، وأحيتها من إماتة، وأخرجتها من جهالة إلى نور العلم، فلو أن الأمة طبقت سنة رسولها ومؤسسها لأحيت نفسها من العدم، ولأعزت نفسها بعد ذل، ولأكرمت نفسها بعد إهانة، ولا يخفى على أحد من العقلاء أن ما أصاب الأمة الذى أصابها إلا من جراء بعدها عن منهج الله ونهج رسوله ﷺ فأين الأمة اليوم من طرقات المدينة التى امتلأت

بالخمور المسكوبة، أين رجال الأمة اليوم ممن رفض الغنيمة من رسول الله ﷺ قائلاً: ما على هذا تبعتك ولكن تبعتك على أن أرمى بسهم فيدخل من هنا ويخرج من هنا فيقول له الرسول ﷺ (إن تصدق الله يصدقك) أين نساء الأمة اليوم من صحابيات رسول الله ﷺ اللائى جلسن فى مكانهن حينما نزلت آية الحجاب ولم يبرحن مكانهن حتى احتجبن، إلى الله لا إلى غيره نشكوا حالنا، وندعوه لا ندعو غيره لحسن مآلنا.

ثالثا: أثر طاعة أولى الأمر فى تقويم الأمة:

لأولى الأمر - كما أسلفنا - أثر عظيم فى توحيد الأمة وجمع كلمتها على من يلون أمرها، وتقدير مهامتهم.

كما أن تلك الطاعة تساعد أولى الأمر على إقامة العدل ونشره بين الناس، وعلى إرساء الأمن واستدامته، وهذا كله يساعد على استقامة المجتمعات، ويساعد أولى الأمر على تطبيقهم الشرائع، وتنفيذ الحدود، فيصبح المجتمع قويا قويما يكثر خيره، ويعم رخاؤه، ويقوم فكرة، وينمو تقدمه ويتسع عمرانه، ويزداد رفعة وعلوا.

رابعًا: أثر طاعة الوالدين والزوج فى تقويم الأمة:

إذا كان الإحساس إلى الوالدين وطاعة الزوجة لزوجها يولدان المحبة والوئام ويساعدان على الترابط بين أفراد الأسرة، فكذلك فى المجتمع فالأبناء الذين يطيعون آباءهم يتكون منهم المجتمع فيزداد ترابطه، والأسرة التى تعيش فى وئام ما هى إلا أساس للمجتمع.

كذلك فى طاعة الزوجة لزوجها إرساء للحب والرحمة بين الأسرة المستقبلية التى تتكون من أبنائها كما أن الأسرة التى تطيع أمر وليها وتساعده على إقامة شرع الله والتمسك بالدين الحنيف، هذه الأسرة تساعد الأمة على إقامة هذا الشرع على مستوى الأمة بأسرها.

خامساً: أثر طاعة القائد فى ساحة الجهاد على الأمة:

لطاعة القائد فى ساحة الجهاد أثر عظيم على الأمة فى وصولها إلى نصر الله - عز وجل - بتوحيد صفها، وإظهار مهابتها أمام العدو وما حدث للمسلمين فى غزوة أحد يعد أبلغ مثل حقيقى لذلك يبدو منه أثر الطاعة، فقد كان الجيش فى بداية الغزوة منتصراً لفترة من الوقت، ولكن لما تنوسيت هذه الطاعة وتناسى الرماة أمر رسول الله ﷺ واجتهدوا رأيهم تحول النصر إلى هزيمة بسبب مخالفة الرماة أوامر الرسول الكريم وجاء القرآن الكريم موضحا ما حدث ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

نعم أراد الله للجماعة المسلمة أن تتعلم درسا فى بداية عهدها فدفعت ثمنه العديد من التضحيات، وهذا الدرس ينبغى للأمة أن تعيه عبر تاريخها الطويل، فإن أرادت النصر فما عليها إلا الرجوع إلى طاعة ربها والسير على خطى معلمها الأول محمد ﷺ واتباع أمر المصلحين من قادتها.

هوامش المبحث الرابع

(١) واقرأ: البقرة: ٨٣، والأنعام: ١٥١، والإسراء: ٢٣، والأحقاف: ١٥.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه: كتاب التفسير باب «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»، ومسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية، وأبو داود فى سننه كتاب الجهاد باب فى الطاعة.

(٣) صحيح البخارى: كتاب النكاح باب: قوا أنفسكم وأهليكم نارا، ومسلم: كتاب الإمارة. باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والترمذى كتاب الجهاد عن رسول الله ﷺ باب: ما جاء فى الإمام.

خاتمة البحث

الحمد لله أولا وآخره، الحمد لله ظاهرا وباطنا، الحمد لله الذى بنعمة تتم الصالحات.

بعد الأوقات والساعات والأيام المباركة التي عشناها مع « الطاعة وأثرها » من خلال آيات القرآن الكريم يظهر لنا:

- أن الطاعة: موافقة الأمر طوعا والانقياد له حبا وطمعا.

- حفلت مظعم سور القرآن الكريم بذكر الطاعة، وقد وردت فى بعضها حوالى عشر مرات، وقد وصل حد الاهتمام من القرآن الكريم بالطاعة إلى أنه قد جاء ذكرها فيه ثلاثًا وثمانين مرة تقريبا.

- أكثر الآيات القرآنية ذكرا للطاعة جاءت فى طاعة الله ورسوله، فقد وردت ثلاثًا وخمسين مرة تقريبا إما فى أمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله، وإن فى توجيه الأمر لعامة الناس بطاعة الله ورسوله وطلب الصبر على هذه الطاعة.

- وجوب الطاعة لله تعالى، ولرسوله ﷺ - بالعمل بما ورد فى القرآن الكريم جملة وتفصيلاً، واتباع ما جاء فى السنة الصحيحة.

- كذلك ظهر لنا اهتمام آيات الطاعة فى القرآن ببيان امتثال المؤمنين بطاعة الله ورسوله، وبيان الجزاء لهم على هذه الطاعة، وأبرزت أن هناك أوامر صريحة بالطاعة، وكذلك أوامر مقرونة بالتحذير.

- ربطت كثير من الآيات القرآنية بين طاعة الله وطاعة رسوله؛ وذلك

حتى يتضح للجميع أن طاعة الرسول من طاعة الله، وأن سنته وحى من الله - عز وجل - فإذا قضى الرسول قضاءً بإذن الله فلا مناص من تنفيذه والإذعان له لأنه من أمر الله.

- بين القرآن أن من الطاعة طاعة مشروعة للعباد بأمر من الله سبحانه لما لهؤلاء من مهام وأفضال، حتى يكون ذلك أدعى لإقامة العدل ونشر الود والوئام بين أفراد الأمة.

- حذر القرآن الكريم من الطاعة لبعض الخلق من الكفار والمشركين والمنافقين، والعصاة والمسرفين، وذم القرآن الكريم من يطيعون هؤلاء الخلق، ولو بدرت من هؤلاء طاعة فهى غير مقبولة؛ لذا فسيندمون يوم القيامة أشد الندم.

ظهر لنا من خلال البحث - أيضًا - أن لطاعة الله ورسوله أثرًا فى تقويم الأفراد، ومراقبتهم لربهم واستقامتهم وتحقيق الإيمان لهم، والقرب من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا تتحقق تربية النفس على الطاعة إلا بالصبر.

- وفى طاعة أولى الأمر والوالدين والأزواج والقادة فى الجهاد، أعظم الأثر فى جلب رضا لله سبحانه والفوز بجنته، ونشر الأمن والأمان، واستقامة المجتمعات.

- وفى طاعة الأمة وعملها بمنهج الله وسنة رسوله رضا الله وتحقيق الأمن، وجلب النصر للأمة، وتكاتفها ووحدتها وتقدمها، وتحقيق السعادة والهناء والرخاء.

قائمة المراجع

١ـ أسباب النزول: لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ـ ت٤٦٨هـ على هامش مصحف القرآن الكريم بمختصر تفسير الطبرى ـ إصدار دار الفجر الإسلامى ـ دمشق، بيروت ـ ط/خامسة ١٤٢٢هـ.

٢ـ أيسر التفاسير: للشيخ أبى بكر جابر الجزائرى الواعظ بالمسجد النبوى الشريف ـ ط/ مكتبة العلوم والحكم.

٣ـ التعارف: محمد عبد الرؤوف المناوى ـ ت١٠٣١هـ، تحقيق: د. محمد رشوان الداية، دار الفكر المعاصر ـ بيروت، ودار الفكر دمشق ـ ط١٤١٠١هـ.

٤ـ التعريفات: على بن محمد الجرجانى ـ دار السرور ـ بيروت.

٥ـ الجامع الصحيح (سنن الترمذى): أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ـ ت٢٧٩هـ ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربى ـ بيروت.

٦ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: محمود الآلوسى أبو الفضل ط/ دار إحياء التراث العربى ـ بيروت.

٧ـ سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ـ ت٢٧٥هـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى ـ دار الفكر ـ بيروت.

٨ـ السيرة النبوية: عبد الملك بن هاشم بن أيوب الحميرى ـ ت٢١٣هـ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل ـ بيروت، ط١٤١١١هـ.

٩ـ **صحيح البخارى:** محمد بن إسماعيل البخارى ـ ت٢٥٦هـ ـ المطبوع مع فتح البارى شرح صحيح البخارى، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقى، إشراف: عبد العزيز بن عبدالله بن باز، دار الفكر.

١٠ـ **صحيح مسلم:** مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ـ ت٢٦١هـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١١ـ **صفوة التفاسير:** للشيخ محمد على الصابونى الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ـ ط/ دار القرآن الكريم، بيروت ـ ط/ خامسة ١٤٠٢ / ١٩٨١م.

١٢ـ **الطبقات الكبرى:** محمد بن سعد منيع البصرى الزهرى ـ ت٢٣٠هـ دار صادر ـ بيروت.

١٣ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** ٢٤١هـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى وعادل مرشد وصحبهم، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٤ـ **جامع البيان عن تأويل أى القرآن:** أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ـ ت٣١٠هـ ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٥هـ.

١٥ـ **الجامع لأحكام القرآن:** أبو عبد الله بن أحمد الأنصارى القرطبى ـ ت٦٧١هـ مؤسسة العرفان ـ بيروت، توزيع مكتبة الغزالى ـ دمشق.

١٦ـ **فى ظلال القرآن:** للشيخ سيد قطب ـ ط/ دار الشروق، ط١١ ـ ١٤٠٥هـ.

١٧ـ **فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراسة من علم التفسير:** محمد بن على بن محمد الشوكانى ـ ت١٢٥٠هـ ـ ط/ دار الفكر، بيروت.

١٨ـ **معالم التنزيل**: الإمام محى السنة أبى محمد الحسين بنو مسعود الفراء البغوى الشافعى ـ ت٥١٦هـ ـ تحقيق: خالد العلك، ومروان سوار ط/ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط/ ٥/ ٢٠٠٢م.

١٩ـ **معجم مقاييس اللغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن ذكريات ـ ٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل ـ بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٠ـ **المفردات فى غريب القرآن**: أبو القاسم بن محمد المفضل المشهور بالراغب الأصفهانى، دار المعرفة ـ بيروت.

٢١ـ **مقدمة تاريخ ابن خلدون**: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار الجيل ـ بيروت.

٢٢ـ **النظام السياسى فى الإسلام**: د. عبد العزيز الخياط دار السلام ـ القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٣ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**: محمد فؤاد عبد الباقى ـ ط/ دار الحديث بالقاهرة ، ط ثالثة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٤ـ **الإعجاز العددى للقرآن**: عبد الرزاق نوفل ـ ط/ مؤسسة دار الشعب ـ ط ثالثة.

٢٥ـ **نداء المؤمنين فى القرآن الكريم**: د. محمد مصطفى منصور ـ ص١٦٨، ١٦٧ ـ ط/ دار غريب بالقاهرة ـ ١٩٩٩م.

٢٦ـ **لسمات بيانية فى نصوص من التنزيل للدكتور**: فاضل السامرائى الأستاذ بكلية اللغة العربية فى جامعة الشارقة. ط/ دار القاسم بالإمارات.

٢٧ـ **الأحاديث الواردة في (العدل والشورى والطاعة) من خلال كتب السنة:** جمع وتصنيف وتخريج ودراسة: بحث مقدم لنيل درجة العالمية العيا «الدكتوراه» إعداد الباحث: سليمان صالح محمد الشجراوي - إشراف الدكتور: الشريف المدثر القطبي سنة ١٤٢٣ / ٢٠٠٢م بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بجمهورية السودان.

٢٨ـ **الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل:** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري - ت٥٣٨هـ، دار الفكر، ط١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٢٩ـ **التفسير الوسيط للقرآن الكريم:** محمد السيد طنطاوي - مطبعة السعادة، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٣٠ـ **تفسير القرآن العظيم:** عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي - ت٧٧٤هـ - عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣١ـ **التيسير في أحاديث التفسير:** محمد المكي الناصري - ط/ دار الغرب الإسلام - بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٢ـ **لسان العرب:** جمال الدين محمد بن مكرم بن منصور الإفريقي المصري - دار صادر - بيروت، ١٩٥٦م.

٣٣ـ **مجموع فتاوى ومقالات لسماحة الشيخ:** عبد العزيز بن عبدالله بن باز المفتي السابق بالمملكة العربية السعودية الجزء السابع - ط/ دار ابن خزيمة للطبع والنشر - بالرياض.

٣٤ـ **المعجم الوسيط:** د. إبراهيم أنيس، ورفاقه.

٣٥ـ المنجد فى اللغة والأعلام: دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٢٨ .

٣٦ـ تهـذيب مدارج السـالكين: لابن القيـم تهـذيب عبـد المنعم صـالح العلى .

٣٧ـ تفسـير المنار : للشـيخ محـمـد عـبده والشـيخ محـمـد رشيـد رضـا ـ ط / دار المعرفة ـ للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ط٢ د ت .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة


شركة ناس للطباعة
٢٣ ش رشدي عابدين - ٣٩٢٥٣٧٦

المحتويات